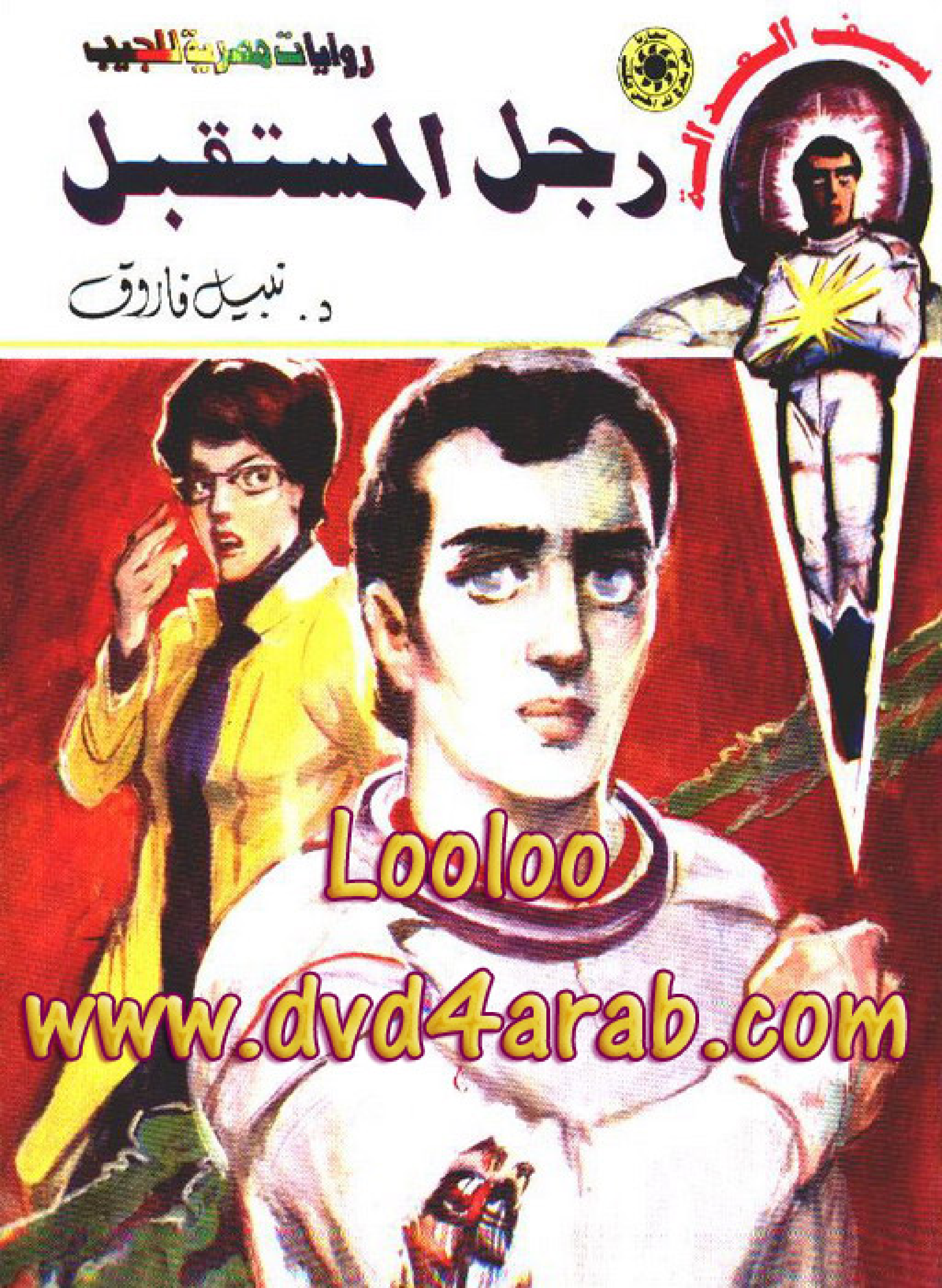

روايات مصرية للجيب
رجل المستقبل
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com

سيف العدالة

سيف الدين ..

مقاتل مستقبلى من طراز خاص ، وجد نفسه فجأة فى حاضرنا ، يواجه خطرًا داهمًا ، يحمل بصمة زمنه وحاضره ..

ومنذ اللحظة الأولى ، أدرك (سيف) أن القدر هو الذى اختار له هذا المصير ، وأرسله إلينا ..

وأن عليه أن يتصدّى للشر القادم من عالمه ، بكل قوته ..

وأسلحته ..

ومبادئه ..

وشاء القدر أن تتزن الكفتان ..

خطر من زمن قادم ..

وسيف من المستقبل ..

سيف العدالة ..

د . نبيل فاروق

١ ـ المستقبل ..

العالم عام ألفين وخمسين ميلاديّة ..

صورة مختلفة تمامًا عن العالم الذى نعرفه اليوم ..

كل شىء يدار بالعقل وحده ..

حتى جهاز التحكّم عن بعد(*) ، صار شيئًا عتيقًا باليًا ، تكتفى أجهزة التعليم الهولوجرافية بالإشارة إليه ، ضمن دروس تاريخ الفيزياء القديمة فحسب ..

يكفى أن تفكّر فى أداء شىء ما ..

فقط تفكّر ..

ثم يقوم جهاز خاص بتجسيم أفكارك ، وجسيمات (جاما) المنبعثة من عقلك ، وترجمتها إلى نبضات لاسلكية خاصة ، تؤدى العمل على الفور(**) ..

وسرعة التقدم بلغت ذروتها ، إلى حد يصعب على عقولنا الحالية استيعابه ..

(*) جهاز التحكم عن بعد : الريموت كنترول ..

(**) تدور فى الوقت الحالى أبحاث خاصة ومكثفة ، لاستكمال صنع خوذة خاصة لطيارى المقاتلات الحربية ، تقوم بالعمل نفسه ، اعتمادًا على أن سرعة الأفكار تفوق حتمًا سرعة الأداء البشرى ، ويؤكد الباحثون أن خوذات (جاما) هذه ستطرح فى الأسواق ؛ لاستخدامها فى ألعاب الفيديو ، قبل نهاية عام ١٩٩٥م .

باختصار .. لم يكن عالم المستقبل يشبه - بأى حال من الأحوال - عالمنا الحالى، اللهم إلا فى هيئة البشر، ومشاعرهم وانفعالاتهم، التى لم تتغيّر تقريبًا، على مر العصور والأجيال ..

ما زال هناك الخير والشر ..

ما زالت هناك جرائم وعصابات ..

وشرطة ..

ورجال أمن ..

صحيح أن كل هذا كان يدور فى إطار مختلف، ولكن باطنه لم يتغير كثيرًا عما نعرفه فى عالمنا الحالى ..

وهناك .. فى عالم المستقبل، ووسط السحب والغيوم، كان يسبح سجن خاص ..

سجن بلا قضبان ..

مجرّد كرة من طاقة هائلة، تحيط بحجرات مضادة للجاذبية، استقرَّ داخلها عدد من أبشع مجرمى المستقبل ..

ومن بين هذه الطغمة الشريرة، كان الدكتور (سيجا) والجنرال (هيل) ..

لا أحد يمكنه تحديد جنسيتيهما بالضبط، وخاصة بعد ذلك الانقلاب الرهيب، الذى أصاب العالم، فى السنوات العشرين الأولى من القرن الحادى والعشرين ..

انهارت الحضارة الأمريكية بغتة، كما حدث لقرينتها السوفيتية، فى نهايات القرن العشرين، وامتدت سطوة الصينيين لتشمل معظم (آسيا)، فى حين برزت (اليابان) كقوة عظمى، تتصدى للاتحاد الأوروبى، واتجهت أنظار الجميع - كالمعتاد - إلى المارد العربى، الذى اتحد وتآزر، وصار قوة رهيبة، تجمع بين الثروتين البشرية والمادية ..

وحتى ملامح الرجلين، لم تكن تفصح كثيرًا عن جنسيتيهما، فالدكتور (سيجا) أصلع الرأس تمامًا، ضيق العينين، كث الحاجبين، نحيل إلى حد ما، بحيث يبرز أنفه الرفيع كمنقار صقر شرس ..

أما الجنرال (هيل)، فهو ضخم الجثة، عريض المنكبين، صارم النظرات، له شعر أشيب غزير، وشارب أبيض كث، وملامح لا تعرف الرحمة أو الشفقة ..

وكان العالم كله يعرف الرجلين، ويذكر شرورهما وجرائمهما، بعد أن تسببا يومًا فى إبادة سكان مدينة كاملة، فى (أمريكا) الجنوبية، لمجرَّد اختبار سلاح إشعاعى جديد ..

وعندما ألقى القبض عليهما، بعد صراع عنيف، تقرَّر سجنهما مدى الحياة، فى ذلك السجن الخاص، المعلَّق بين السماء والأرض ..

ولكنهما لم يستسلما لسجنهما ..

صحيح أن فريقًا كاملًا من الرجال كان يراقبهما ليلا ونهارا ، ويحصى أنفاسهما ، وحركاتهما ، وسكناتهما ، إلا أن شيئًا ما فى ابتسامتهما الساخرة الشرسة ، والتماعة عيونهما الوحشية ، كان يقول : إنهما يدبران شيئًا ما ، مما أثار قلق وتوتر جهاز المراقبة بأكمله ، وجعل رجاله يضاعفون مراقبتهم ؛ خشية أن يباغتهم الرجلان بعمل غير متوقع ، خاصة وأن رجال الأمن لم ينجحوا فى إلقاء القبض على كل معاونيهما ورجالهما ، حتى هذه اللحظة ..

وفى ذلك اليوم ، الحادى والثلاثين من ديسمبر ، عام ألفين وخمسين ، تلبّدت السحب بالغيوم ، وبدا الطقس كئيبًا مزعجا ، وعلى الرغم من ذلك ، ارتسمت ابتسامة ماكرة مقلقة ، على شفتى الدكتور (سيجا) ، فى حين انعقد حاجبا الجنرال (هيل) فى شدة ، وبدت علامات الترقب واضحة فى كل خلجة من خلجاته ، حتى أن رئيس فريق المراقبة قال لمعاونه فى توتر :

ـ يلوح لى أنهما ينتظران شيئًا ما ..

قال معاونه فى حيرة :

ـ كيف ؟!.. إنهما حتى لا يتبادلان الحديث ، فزنزانة كل منهما معزولة عن الأخرى تمامًا .

هزّ الرئيس رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى كيف ، ولكن إحساسى نحوهما لم يخطئ قط .. إنهما يعدان لأمر ما .

راح معاونه يدرس كل الاحتمالات فى ذهنه ، ثم سأله :

ـ مثل ماذا ؟

زفر الرئيس زفرة حارة للغاية ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟.. ربّما ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتجّ مركز المراقبة كله فى عنف ، وتلاشت أضواؤه الذاتية دفعة واحدة ، فصاح المعاون :

ـ ماذا حدث ؟.. المفروض ألا تنضب الطاقة هنا ، قبل ألف عام !

هتف الرئيس :

ـ قلت لك : إنهما يعدان أمرًا ما .. انتقل إلى خطة الطوارئ (د) على الفور .

شحب وجه المعاون ، وهو يقول :

ـ هل .. هل أنسف السجن كله ؟

صاح رئيسه :

ـ نعم .. انسفه يا رجل .. انسفه قبل أن يفرّ منه هذان الشيطانان ، ويشتعل الجحيم فى العالم مرة أخرى .. انسفه .

اندفع المعاون نحو أجهزة التفجير ، وهتف :

- خوذة التحكم عن بعد لا تعمل ، سأستخدم الأسلوب اليدوى الاحتياطى .

ضغط زر التفجير بكل قوته ، ثم اتسعت عيناه ، وهو يراقب الراصد ، هاتفًا :

- لم يحدث شىء .. أجهزة التفجير لا تعمل ، ربما أو ...

شهق بشدة ، دون أن يتمّ عبارته ، وراح يحدّق ذاهلا ، مع رئيسه وكل العاملين فى مركز المراقبة ، فى شاشة الراصد الكبير ، التى نقلت صورة واضحة لطيف حالك السواد ، انفصل عن سحابة داكنة قريبة ، وأحاط بالسجن المعلّق كله ، ثم انطلق فجأة كشعاع أسود مخيف ، عبر الهواء الرطب ، وقطرات المطر التى بدأت فى السقوط ، وتلاشى بغتة ، فى قلب المدينة تاركًا السجن خلفه ، بكل مسجونيه وقاطنيه ..

فيما عدا رجلين :

الدكتور (سيجا) ، والجنرال (هيل) ..

وكان هذا يعنى أن الجحيم قد فتح أبوابه مرة أخرى .. وعن آخرها ..

★ ★ ★

(القاهرة) ، عالم ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين .

عالمنا الذى نعرفه ، بكل محاسنه ، ومشاكله ..

زمننا ، الذى ننتمى إليه ..

والتهبت الأكف بالتصفيق ، فى قاعة المؤتمرات الكبرى ، ونهض الجميع فى إعجاب وتوقير ، لتحية العالم الجليل ، الدكتور (فتحى مختار) ، واندفع بعضهم يصافحونه فى حرارة ، وهم يهتفون من أعماق قلوبهم :

- عقارك هذا يعدّ فتحًا فى عالم الطب يا دكتور (فتحى) .. لقد حققت المعجزة ، ونجحت فى علاج مرضى (الأيدز) اللعين(★) .

ابتسم العالم المصرى الشيخ ، الذى تجاوز الخامسة والستين من عمره بقليل ، واشتركت ابتسامته الوقور ، مع شعره الأشيب ، وجسده الضئيل ، وعينيه اللتين تلتمعان ببريق ذكاء أخّاذ ، من خلف منظاره الطبى ، فى منحه مظهرًا مهيبًا ، وهو يقول فى تواضع :

(★) الأيدز : مرض حديث ، ظهر فى النصف الثانى من الثمانينات ، ويتكون اسمه من الحروف الأولى لطبيعة (مرض فقدان المناعة المكتسب) ، وفيه يفقد الجسد شبكته المناعية كلها ، وتصل فترة الحضانة فيه إلى خمسة عشر عامًا ، فى بعض الحالات ،

- لم يحن الوقت بعد ، للقفز إلى هذه النتيجة يا ولدى ، فصحيح أن عقارى (م.ف) يمكنه القضاء على كل أنواع الفيروسات(★) ، بما فيها فيروس (الأيدز) ، إلا أن نتائجه النهائية لم تفصح عن نفسها بعد .. ما زالت أمامنا تجارب معملية عديدة ، قبل أن نعلن نجاحه النهائى .

ضحك أحدهم فى سعادة ، وهو يقول :

- لم تتغير أبدًا يا دكتور (فتحى) .. مازلتَ تفضّل أسلوب الحيطة والحذر .. أنت تعلم مثلنا أنها مسألة وقت فحسب ، فعقارك الرائع هو أوّل دواء فى العالم أجمع ، يمكنه التصدّى للفيروسات ، وإيقاف نشاطها تمامًا .

ابتسم الدكتور (فتحى) مرة أخرى فى تواضع ، وسأله أحدهم :

- ولكن لماذا تحتفظ بالتركيب النهائى للعقار سرًا يا دكتور (فتحى)؟ ألم يحن وقت الكشف عنه بعد ؟

هزّ العالم رأسه ، وغمغم بابتسامة هادئة :

- لا تتعجّل يا ولدى .. لكل شىء وقته .

(★) الفيروسات : كائنات دقيقة الحجم ، لاترى إلا بالمجهر الإلكترونى ، ولا يمكن أن تتكاثر إلا داخل خلايا حية ، وتسبّب الكثير من الأمراض للإنسان والحيوان ، ومن أشهر ما تسببه من أمراض الأنفلونزا ، والحصبة ، والتهاب الكبد الوبائى .

قالها ولوّح بكفه لباقى الصحفيين ، معلنا تعبه وإرهاقه ، وعجزه عن إجابة أسئلتهم ، وشق طريقه فى صعوبة وسط الزحام ، حتى بلغ حجرة انتظار خالية ، فاندفع إليها ، ووقف يلتقط أنفاسه ، ويمسح العرق الغزير ، الذى غمر وجهه وصدره ، عندما سمع صوتًا يقول من خلفه ، بلكنة أجنبية واضحة :

- دكتور (فتحى) .

استدار فى بطء ، يتطلّع إلى صاحب الصوت ، ورأى أمامه رجلًا أشقر الشعر ، أزرق العينين ، يرتدى حلة أنيقة ، بدت متناسقة مع قامته الفارهة ، وابتسامته الجذّابة ، وهو يمدّ يده مصافحًا ، ومستطردًا :

- تسرنى مقابلتك يا دكتور .. أنا (كارل جوناثان) .. مندوب لعدة شركات للأدوية والعقاقير الطبية ، فى (أمريكا) والعالم أجمع .

صافحه الدكتور (فتحى) ، وهو يقول :

- تشرّفنا .. أعتقد أنك هنا بشأن عقارى الجديد .

اتسعت ابتسامة (جوناثان) ، وهو يقول :

- أنت ذكى ولمّاح بالفعل ، كما أخبرونى يا دكتور (فتحى) .. أنت على حق .. أنا هنا بشأن العقار .

تنهّد الدكتور (فتحى) فى ضجر ، وألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

- يؤسفنى أن مهمتك لن تحظى بالنجاح يا سيِّد (جوناثان) .. أعترف أن رؤساءك قد أحسنوا اختيارك ، فأنت حسن المظهر ، تجيد العربية إلى حد كبير . ولكن ..

قاطعه (جوناثان) فى برود عجيب ، دون أن يفقد ابتسامته ، التى بدت وكأنها تلتصق بشفتيه :

- ولكن ماذا ؟

تطلَّع إليه الدكتور (فتحى) ، وقال فى حزم :

- عقارى ليس للبيع .

أطلق (جوناثان) ضحكة باردة قصيرة ، قبل أن يقول :

- أى قول هذا يا دكتور (فتحى) ؟.. أى دواء جديد ، هو سلعة تُباع وتُشترى .. كيف يمكن فى رأيك تصنيع العقار ، وإنتاجه ، وطرحه فى الأسواق ، ما لم تجد من يشتريه ، ويرغب فى تسويقه ؟

قال الدكتور (فتحى) :

- يمكننى تسويقه هنا .. سأهديه لشركات الدواء المصرية .

ظلَّ قناع الثلج ، الذى يخفى وجه (جوناثان) جامدًا لحظات ، ثم ذاب بغتة ، لتحلَّ محله نظرة صارمة ، وهو يقول :

- لا ريب أنك تمزح .

هزَّ الدكتور (فتحى) رأسه فى حزم ، وهو يقول :

- مطلقًا .. شركات الدواء المصرية وحدها ستنتج الـ (م.ف) .

حدجه (جوناثان) بنظرة صارمة أخرى ، ثم قال :

- دكتور (فتحى) .. هل ترغب فى سماع الرقم ، الذى نعرضه عليك ، ثمنًا لهذا العقار ؟

لوَّح الدكتور (فتحى) بكفه ، وقال :

- لا .. لا أريد أن أسمعه .

ولكن (جوناثان) تابع ، وكأنه لم يسمع قوله :

- ربَّما يبلغ عدد أصفاره سبعة أو ثمانية أصفار .

أجابه الدكتور (فتحى) ، وهو يسبل جفنيه فى تراخ :

- لا تحاول يا رجل .. المال لم ينجح فى إغرائى قط .. لو ابتعتم أنتم الدواء ، فسيصل سعره فى الأسواق إلى أرقام فلكية ، مع جشعكم واستغلالكم ، ولن يحظى به سوى الأثرياء كالمعتاد .. أما الفقراء وعامة الناس ، فسيموتون بالفيروس اللعين ، وهم يمدون أيديهم إليكم متوسلين ، دون أن تخفق قلوبكم الحجرية لهم لحظة واحدة ..

ضاقت عينا (جوناثان) ، وهو يقول :

- يبدو أن فكرتك عنا سيئة للغاية يا دكتور (فتحى) .

قال الدكتور (فتحى) فى صلابة :

- أليست هذه هى الحقيقة ؟

ران الصمت التام على المكان ، لدقيقة أو يزيد ، قبل أن يقطعه (جوناثان) بلهجته الباردة ، قائلًا :

- إذن فكل ما تخشاه أن ننتج العقار بسعر باهظ ؟

غمغم الدكتور (فتحى) فى ضجر :

- هذا صحيح .

ران الصمت لحظات أخرى ، ثم قال (جوناثان) :

- وماذا لو وعدتك بأن هذا لن يحدث ؟

أجابه الدكتور (فتحى) بسرعة :

- لن أصدّق حرفًا واحدًا مما ستقوله .

قال (جوناثان) :

- ولكننا لن نفعل حقًّا ، ويمكننى أن أقسم لك على هذا .. بل وأضعه كنصٍ واضح فى العقد .

انعقد حاجبا الدكتور (فتحى) فى شدة ، وهو يقول :

- ما الذى تعنيه بالضبط ؟

ثم فتح عينيه ، والتفت إليه مستطردًا :

- كيف يمكن أن تدفع شركات الدواء العالمية ، التى تمثلها ، مبلغًا يحوى ثمانية أصفار ، دون أن تنتج العقار ، أو تطرحه فى الأسواق ؟

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى (جوناثان) ، وهو يقول :

- هذا شأننا .

اعتدل الدكتور (فتحى) بكيانه كله ، وهو يقول :

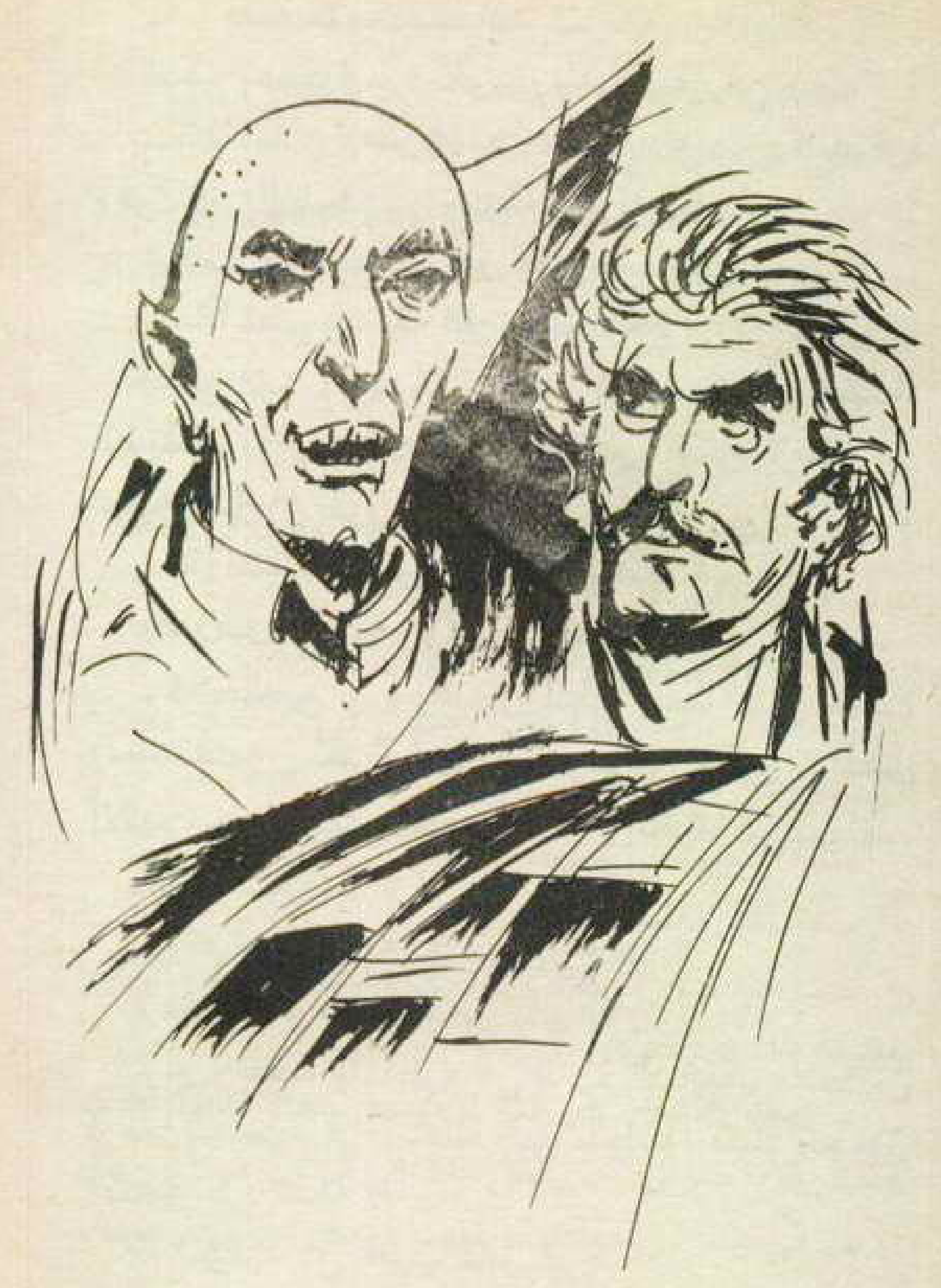
- ومن الضرورى أن أفهم أوّلًا .

صمت (جوناثان) لدقيقة أخرى ، وهو يتطلّع إلى عينى الدكتور (فتحى) مباشرة ، ثم شدّ قامته . وقال :

- فليكن .. سأخبرك .

وعندما بدأ يتحدّث ، اتسعت عينا الدكتور (فتحى) فى ارتياع ، فقد كان ما يسمعه من (جوناثان) رهيبًا .. رهيبًا بحق .

* * *



الدكتور (سيجا) ، والعالم والجنرال (هيل) .

٢ ـ الشياطين ..

ردَدت الجدران الرخوة ضحكةَ الجنــرال (هيل) المجلجلة ، وهو يربِّت فى خشونة على كتف زميله الدكتور (سيجا) ، قائلًا :

ـ هربنا يا رجل .. نجحنا فى الفرار تحت أسماعهم وأبصارهم .. أنت عبقرى يا صديقى .. عبقرى لكل العصور .

ابتَسم الدكتور (سيجا) فى برود ، وهو يقول :

ـ كيف يمكنهم أن يتخيَلوا أننا زرعنا أجهزة الاتصال داخل مخينا . بحيث يمكننا التخاطر ، وتبادل الآراء والأفكار ، دون أن تلتقط هذا أية أجهزة ، مهما بلغت دقتها .

ابتسم رجلاهما (رايت) و (رونجى) ، وقال الأوَل :

ـ الأجهزة المزروعة فى مخنا استقبلت أوامركما أيضًا ، وقمنا بتنفيذ كل التصميمات ، التى تركتها لنا يا دكتور (سيجا) .

انعقد حاجبا (هيل) ، والتفت إلى (سيجا) ، قائلًا :

- ما قصة هذه التصميمات ؟

ابتسم (سيجا) مرة أخرى، وهو يجيب فى هدوء :

- إنها نماذج لبعض أسلحة عالمنا، فى صورة مصغَّرة ومركَّزة، بالإضافة إلى وسيلة فرارنا الدائمة .

غمغم (هيل) بعبارة غير مفهومة، وقال :

- ماذا تعنى بوسيلة الفرار الدائمة ؟

تطلَّع إليه (سيجا) لحظات فى صمت، وعيناه الضيقتان تخفيان انفعالاته، ووميض الذكاء المطلّ من عينيه، قبل أن يقول :

- هل تعتقد أنهم سيتركوننا نفرّ هكذا ؟

مطّ (هيل) شفتيه، وقال فى عصبية :

- كلّا بالطبع .. سيقلبون الدنيا رأسًا على عقب، وسيستخدمون أحدث أجهزتهم، وأبرع رجالهم، وأفضل آلاتهم، حتى يمكنهم العثور علينا، وإعادتنا إلى سجننا .

سأله (سيجا) :

- وكم تبلغ فرصة نجاحهم فى رأيك ؟

ازداد انعقاد حاجبى (هيل)، وهو يقول :

- لو راجعت ما فعلوه فى المرة السابقة، ستجد أن فرصة نجاحهم فى إعادتنا إلى سجننا، تكاد تتجاوز التسعين فى المائة .

ثم استطرد فى غضب هادر :

- ولكنهم لن يعيدوننى حيًا هذه المرة .

ابتسم (سيجا) فى غموض، وهو يقول :

- ربّما لا يمكنهم استعادتك قط .

دق (هيل) الجدار الرخو بقبضته، وهو يقول فى حدة :

- بل سينجحون فى هذا .. سيعثرون علينا، حتى ولو اختبأنا فى آخر جزء من العالم .

قال (سيجا) بسرعة :

- وماذا لو خرجنا من العالم كله ؟

حدّق (هيل) فى وجهه لحظة بدهشة، قبل أن يهتف :

- ماذا تعنى ؟.. هل تفكّر فى الانتحار ؟

هزّ (سيجا) رأسه فى بطء، وهو يجيب :

- مطلقًا .. الأغبياء فقط يجدون فى الانتحار وسيلة للهروب من المشاكل .

سأله (هيل) فى حيرة :

- ما الذى تعنيه إذن ؟

بدت ابتسامة (سيجا) كمزيج من السخرية والزهو والثقة والدهاء، وهو يقول :

- عيبك الأعظم هو أنك لا تفسح مجالًا كافيًا لعقلك وتفكيرك يا جنرال .. أنا أتفق معك فى الرأى، فى أن رجال الأمن فى عصرنا بلغوا شأنًا خاصًا، يجعل عثورهم علينا،

وإعادتنا إلى السجن أمرًا واردًا للغاية .. أنا واثق من أنهم سيتغلبون بسرعة على ارتباكهم ودهشتهم، بعد ما رأوه من شعاعى الناقل الأسود، الذى أخرجنا من السجن. ولكن أجهزة الرصد لديهم ستسجل مساره، وتحدد نقطة هبوطه، بنسبة خطأ لا تتجاوز الواحد فى ألف مليار، وسيتحركون بسرعة البرق لمواجهتنا .. بل ولقد درست هذا الاحتمال، فى أثناء وجودنا فى السجن. وقدرت أنهم سيحتاجون إلى ست دقائق فحسب، للوصول إلينا، واختراق دفاعاتنا.

ألقى (هيل) نظرة سريعة على ساعته المتألقة، وقال فى عصبية:

- لقد وصلنا هنا منذ دقيقتين، وهذا يعنى أن أمامهم أربع دقائق للوصول إلى هنا، وإلقاء القبض علينا.

قال (سيجا) فى هدوء:

- هذا لو وجدونا.

ثم أشار إلى (رايت)، مستطردًا:

- ابدأ عملية التشغيل.

استدار (رايت) إلى جزء من الجدار الرخو، ونقلت خوذة الأفكار أوامره إلى أجهزة مختفية داخله. فتألقت الجدران كلها بضوء زمردى خافت. هتف له (هيل):

- ماذا يحدث بالضبط؟

ابتسم (سيجا)، وقال:

- انظر حولك يا عزيزى (هيل). فالحجرة الصغيرة،

التى نقف داخلها، مع صندوق الأسلحة والمعدات، ليست مجرد حجرة عادية.

سأله (هيل) فى توتر:

- ما هى إذن؟

برقت عينا (سيجا) على نحو مخيف، وهو يرفع سبابته، مجيبًا:

- آلة زمن .. أول آلة زمن فى تاريخ العلم.

هتف (هيل):

- آلة زمن ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟!.. آلات الانتقال عبر الزمن كانت وما زالت مجرد فكرة من أفكار الخيال العلمى، منذ طرحها ذلك المأفون (ويلز)(★)، وناقشها المتخلف (اينشتين)(★★).

(★) (هربرت جورج ويلز) - (١٨٦٦-١٩٤٦م): من كبار وعظماء أدب الخيال العلمى فى التاريخ، وهو صاحب رؤية فلسفية، تمتزج بمعلوماته العلمية، لتنتج أدبًا من طراز رفيع. ومن أشهر مؤلفاته (آلة الزمن)، و (حرب العوالم)، و(أول من وصل إلى القمر). ويعتبره البعض الأب الشرعى لأدب الخيال العلمى الحديث، فى حين ينسب البعض الآخر هذا اللقب للأديب الفرنسى الأشهر (جولى فيرن).

(★★) (ألبرت أينشتين) - (١٨٧٩-١٩٥٥م): عالم فى الفيزياء النظرية، من أصل ألمانى، عاش فى (أمريكا)، واشتهر بنظريتى النسبية الخاصة والعامة. وحصل على جائزة (نوبل) عام ١٩٢١م، وتوصل إلى أشهر معادلاته (الطاقة = الكتلة مضروبة فى مربع سرعة الزمن).

ازداد بريق عينى (سيجا)، وهو يقول :

- بل هى الآن حقيقة يا عزيزى (هيل) .. حقيقة صنعتها عبقريتى الفذة، التى تفوق أعظم عقول العلماء عبر التاريخ .. لقد صنعت أول آلة زمن .

سقط فك (هيل) السفلى، وهو يدير عينيه فيما حوله، قبل أن يهتف :

- أتعنى أن هذا الشىء يمكن أن ينقلنا إلى زمان آخر، ومكان آخر ؟.. هل يمكننا أن نجول فى الزمن كيفما نشاء ؟

وهنا مطَّ (سيجا) شفتيه، وخبا بريق عينيه، وهو يغمغم :

- هنا تكمن المشكلة .

سأله (هيل)، وقلبه يخفق فى قوة :

- أية مشكلة ؟!

لوّح (سيجا) بسبَّابته، وهو يقول :

- لم يكن الوقت كافيًا لتطوير الآلة، وتلافى عيوبها، ثم إن أبحاثى لم تتوصَّل بعد إلى سر هذه العيوب، فهذه الآلة، على الرغم من عظمتها، لن تعمل سوى مرة واحدة، وفى اتجاه واحد .

سأله (هيل) بصوت متوتر :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (سيجا) بسرعة :

- آلة الزمن، التى نقف داخلها، تحتاج إلى طاقة هائلة لتعمل، وهذه الطاقة تفوق قدرة مادتها على التحمّل، مما يعنى أن ذراتها ستفقد ترابطها، مع دورتها الفائقة، وستنهار دفعة واحدة، أو تتلاشى من الوجود كله، بعد أن تنتهى من عملها .. وهى غير قادرة، فى الوقت ذاته، على نقلنا إلى المستقبل .. فقط يمكنها إعادتنا إلى الماضى، ولمسافة محدودة، لم يمكننى تقديرها بمنتهى الدقة، ولكنها تتراوح بين أربعين إلى ستين عامًا .

هتف (هيل) :

- القرن العشرين ؟!.. أتعنى أن هذه الآلة ستعيدنا إلى القرن العشرين ؟!.. اللعنة !.. وماذا يمكننا أن نفعل، فى زمن متخلف كهذا ؟

عادت عينا (سيجا) تبرقان فى شدة، وهو يقول :

- نسيطر على العالم .

حدَّق (هيل) فى وجهه، فى حين تبادل (رايت) و (رونجى) نظرة مفعمة بالحماس، و (سيجا) يستطرد :

- سنعود إلى السنوات الأخيرة من القرن العشرين .. قبل انهيار (أمريكا) .. سنعود ونحن نعرف من تاريخهم ومستقبلهم ما يجهلونه، ونحمل جعبة من أسحلة رهيبة،

تكفى لمواجهة كل جيوشهم مجتمعة .. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟.. إننا نستطيع تغيير وجه العالم يا رجل .. نستطيع قلب التاريخ رأسًا على عقب .. سنصبح سادة العالم، بدلًا من أن نكون مجرد مجرمين هاربين .. نحن سنصنع تاريخنا ..

امتلأت نفس (هيل) بالحماس، وهو يهتف :

- نعم يا (سيجا) .. سنصبح سادة العالم .

ثم تراجع مستطردًا فى قلق :

- ولكننا لن نستطيع العودة ثانية إلى عالمنا .

أطلق (سيجا) ضحكة ساخرة مقتضبة للغاية، وهو يقول :

- ومن يرغب فى العودة إليه ؟

صمت (هيل) لحظة، ثم انفجر يقهقه بغتة، فى شهوة عجيبة، وهو يهتف :

- نعم .. من يرغب فى العودة إليه ؟

وترددت ضحكاته الشيطانية بين الجدران الرخوة، التى راح تألقها يتزايد رويدًا رويدًا، معلنًا بدء حقبة مخيفة من الزمان، تتأرجح بين الحاضر والمستقبل ..

حقبة قد يحكمها السادة الجدد ..

سادة الشر ..

★ ★ ★

اتسعت عينا الدكتور (فتحى) فى هلع وارتياع، وهو يحدق فى وجه (جوناثان)، الذى انتهى من حديثه، وأشعل سيجارته فى برود، ونفث دخانها فى سماء الحجرة، وهو يقول :

- هه .. ما قولك يا دكتور (فتحى) ؟

بقى الدكتور (فتحى) متطلعًا إليه لحظات فى صمت، ثم لم يلبث أن هز رأسه فى قوة، وكأنه ينفض كل الانفعالات عن عقله، وعلى الرغم من هذا، بدا صوته مفعمًا بالانفعال، وهو يقول :

- مهلًا يا رجل .. هل يمكنك أن تعيد على مسامعى كل ما قلته .. أخش أننى لم أنجح فى استيعاب الأمر جيدًا .

هز (جوناثان) كتفيه فى لا مبالاة، وهو يقول :

- بكل سرور .

ثم التقط نفسًا عميقًا من سيجارته، ونفثه فى قوة، قبل أن يستطرد :

- منذ ظهر مرض (الأيدز) إلى الوجود، تفجرت فى العالم موجتان عارمتان .. موجة من الذعر، إزاء مرض فتاك، لا يبقى ولا يذر، وموجة أخرى من الأبحاث والتجارب المعملية المتواصلة، فى محاولة لكشف عقار فعال، يمكنه التصدى للمرض، أو تقليل نشاطه على

الأقل ، وبدأ سباق عصبى ، للتوصل إلى مثل هذا العقار ، وفى الوقت نفسه ، كان مرضى (الأيدز) على استعداد لدفع نصف أعمارهم ، من أجل الحصول على عقار كهذا ، يمكنهم بوساطته الفوز بنصف العمر الثانى ، ولكن النتائج كلها جاءت مخيبة للآمال ، وراح المرضى يموتـــون بالمئات ، والطب عاجز عن معاونتهم أو إنقاذهم .

وتنفس فى حرارة ، ثم تابع :

- ووسط اليأس القاتل ، ظهر جيل جديد من الأدوية والعقاقير .. جيل لا يمكنه علاج الداء بشكل حاسم ، ولكنه يستطيع تخفيف أعراضه ، وتأخير مضاعفاته ، بحيث يطيل من عمر المريض ، ويمنحه أملا جديدا فى البقاء ، لحين العثور عى دواء شاف .. ولأن هذا الجيل كان مبهرًا ، فقد أسرعت كل شركات الأدوية التى أمثلها بتبنيه ، وأنشأت من أجله خطوط تصنيع ضخمة ، كلفتها ما يقرب من المليار دولار ، وهى تتوقع أن تربح من إنتاج هذه الأدوية ضعفى المبلغ على الأقل .

وانعقد حاجباه فى صرامة ، مع إضافته :

- ثم ظهر عقارك بغتة .. ظهر قبل أن تحقق خطوط الإنتاج تكاليفها الأولية ، وقبل أن تبدأ فى الربح ، وهذا يعنى خسارة فادحة ، يسعى من أمثلهم لتفاديها .

هتف الدكتور (فتحى) :

- بهذه الوسيلة ؟!

هزَّ (جوناثان) كتفيه ، وقال :

- ليس أمامنا سوى هذا .. سنحصل على حقوق تصنيع عقارك الجديد ، ولكننا سنؤجِل هذا التصنيع لخمسة أعوام فحسب ، نقوم خلالها بتسويق عقاقيرنا الأخرى ، وتشغيل خطوط إنتاجها ، وسنكتفى بنصف الربح المتوقع فحسب ، وبعد السنوات الخمس سنبدأ فى إنتاج الـ...

قاطعه الدكتور (فتحى) فى حدة :

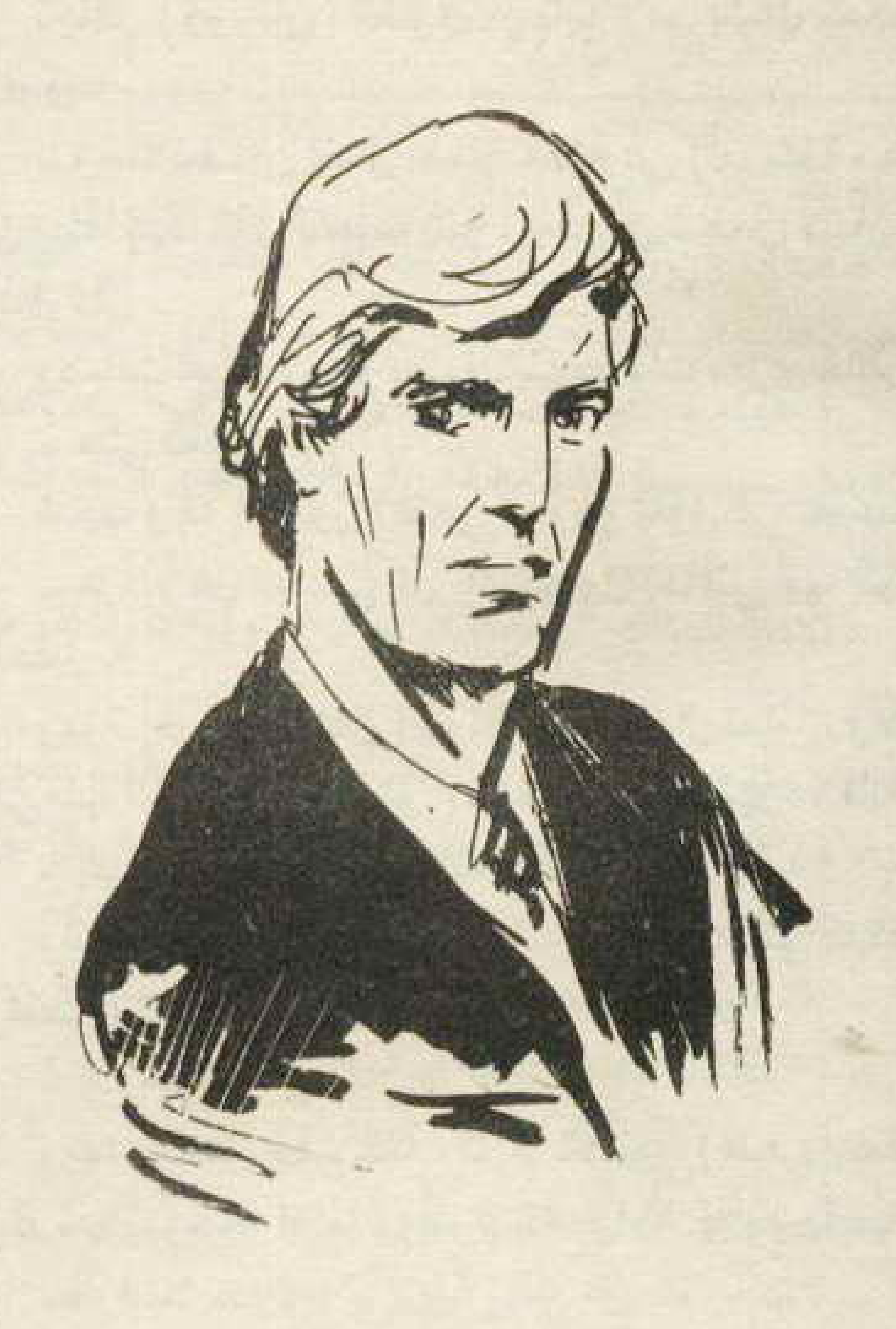
- هل تعلم ما يمكن أن يحدث ، فى هذه السنوات الخمس ؟.. هل تدرك كم من المرضى سيلقون حتفهم ، قبل أن تطرحوا العقار فى الأسواق ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتى (جوناثان) ، وهو يقول :

- ولماذا تقلق نفسك بشأنهم ؟.. إنهم حفنة من الشواذ والمدمنين ، والـ..

عاد الدكتور (فتحى) يقاطعه فى عصبية :

- ليسوا هكذا دائمًا .. هناك ضحايا عمليات نقل الدم ، والذين انتقل إليهم المرض بالعدوى ، دون ذنب جنوه ، وأبرزهم الأطفال ، الذين أنجبتهم أمهات مصابـــات بالفيروس اللعين .. هل نسيت كل هؤلاء ؟



جوناثان .

أجابه (جوناثان) فى برود ، وهو يلتقط نفسًا عميقًا من سيجارته :

- كلا .. ولكن كلهم لا يساوون مليارًا من الدولارات .

انعقد حاجبا الدكتور (فتحى) فى غضب هادر ، وانقضّ فجأة على (جوناثان) ، وانتزع السيجارة من بين شفتيه ، وألقاها أرضًا ، وسحقها بقدمه ، صائحًا :

- أنت الذى لا يساوى عندى دولارًا واحدًا .. أنت وكل الشركات الحقيرة التى تمثلها .

حدّق (جوناثان) فى وجهه بدهشة ، ثم تحوّلت دهشته إلى غضب شديد ، وهو يقول فى صرامة :

- كيف تجرؤ على فعل هذا ؟

صرخ الدكتور (فتحى) فى غضب :

- اغرب عن وجهى .. ابتعد أيها الحقير القذر ، قبل أن أبلغ الشرطة بأمرك .

ابتسم (جوناثان) فى سخرية ، وهو يقول :

- شرطتكم لا تمتلك ما يديننى ، ولا يمكنها هذا .

ثم انعقد حاجباه بغتة فى صرامة ، مع استطرادته :

- ولكننى أعلم أنك ستسافر بعد ساعات إلى (أمريكا) ، لعرض كشفك العظيم فى مؤتمر مكافحة (الأيدز) .. وهناك ستجد أن شرطتنا تختلف كثيرًا .

تراجع الدكتور (فتحى) ، وهو يسأله فى توتر :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

تجاهل (جوناثان) السؤال، وتابع وهو يشعل سيجارة أخرى :

- وستكتشف أن للمال أهمية هائلة فى (أمريكا)، حتى أن مبلغًا كهذا الذى نتحدث عنه، يدفع أى شخص لإتيان أى عمل كان .

وضاقت عيناه، وهو يضيف بلهجة ذات مغزى خاص :

- حتى القتل .

شحب وجه الدكتور (فتحى)، وهو يقول فى عصبية :

- هل .. هل تهددنى ؟.. هل تحاول إخافتى أيها الوغد الحقير ؟

ومرة أخرى، تجاهل (جوناثان) السؤال تمامًا، واتجه إلى باب الحجرة، وهو يلوح بيده من خلف ظهره، قائلًا :

- إلى اللقاء يا دكتور (فتحى) .

واتسعت ابتسامته الساخرة، وهو يلتفت إلى الدكتور (فتحى) للمرة الأخيرة، مضيفًا :

- فى ملعبنا .

وغادر الحجرة فى خفة، تاركًا الدكتور (فتحى) خلفه، وقد شحب وجهه تمامًا، وأدرك أنه يواجه خطرًا حقيقيًا .. خطرًا بلا حدود .

* * *

٣ - الرجل ..

« لقد اختفيا تمامًا !.. » .

هتف معاون رئيس فريق المراقبة بالعبارة فى ذهول، وهو يحدق فى شاشة الرصد المجسمة، التى راحت تنقل صورة هولوجرافية للسجن، وتجوس فيه بسرعة، فاندفع رئيسه نحو كرة معلقة، فى فضاء حجرة المراقبة، وقال :

- الأمر يحتاج إلى تحرك سريع، وإلا فقدنا أثرهما للأبد .

ولم يكد يلمس الكرة، حتى تكونت فوقها صورة هولوجرافية، متقنة إلى حد مذهل، لقائد فرق الأمن، الذى قال على الفور :

- لقد تابعت ما حدث على شاشتى الخاصة، ورجال الرصد أمكنهم تحديد نقطة سقوط ذلك الشعاع الأسود العجيب .

قال رئيس المراقبة :

- لابد أن نتحرك على الفور يا سيدى .

أجابه القائد ..

- لقد بدأ رجالنا تحرّكهم بالفعل، وسيصلون إلى نقطة هبوطهما بعد خمس دقائق على الأكثر .

قال رئيس المراقبة فى توتّر شديد :

- ألا يمكننا الوصول على نحو أكثر سرعة ؟!.. إنهم سيتحركون كالصاروخ بكل تأكيد ؟

راجع القائد بياناته فى لحظة واحدة، وأجاب :

- ليس لدينا فى المنطقة سوى رجل أمن واحد، من القوة متعدّدة الجنسيات .. إنه الملازم العربى (سيف الدين)، ولكنه وحده، ولست أدرى هل ..

قاطعه رئيس المراقبة فى لهفة :

- يمكنه تعطيلهم على الأقل يا سيّدى .

استغرق القائد ثانية واحدة للتفكير، ثم اتخذ قراره فى حسم :

- فليكن .. سأطلب منه مواجهتهم على الفور .

كان الملازم (سيف) يقوم بدوريته المعتادة، فى هذه اللحظة، ضمن القوة متعدّدة الجنسيات، التى تم انتدابها للحفاظ على السلام، فى الدويلات الصغيرة، التى تخلفت عن انهيار الإمبراطوريات الكبيرة، واشتبكت لسنوات عديدة فى حروب طاحنة متفرقة، كادت تبيد الجميع، لولا تدخل جيش السلام العالمى، عندما تلقّى رسالة القائد، عبر جهاز اتصال فى خوذته الخاصة :

- ملازم (سيف الدين) .. توجه فورًا إلى النقطة (س-٦٠٧)، وحاول التصدى للدكتور (سيجا) والجنرال (هيل)، ومنع هروبهما .

لم يكن الملازم (سيف) قد تصدّى قط للدكتور (سيجا) والجنرال (هيل)، ولكنه يعرفهما جيدًا، ويحفظ صورتيهما عن ظهر قلب، مع الضجة الإعلامية الهائلة، التى صحبت إلقاء القبض عليهما، وشرحت كل جرائمهما الوحشية المخيفة ..

وكان يدرك مدى خطورتهما وشراستهما ..

ولكنه لم يتردّد لحظة واحدة فى تلبية النداء ..

لقد أجاب فى حزم :

- عُلم وسيُنفّذ يا سيّدى بإذن الله .

وانطلق على الفور إلى النقطة المنشودة ..

كانت عبارة عن مبنى من طابق واحد، فى منطقة شبه مهجورة، تحيط بها أنقاض مدينة قديمة، من المناطق المحظورة، بعد التجاوزات النووية، خلال الحروب الأهلية الأخيرة، ولقد اتجه إلى المبنى فى حزم وشجاعة، وهبط بكرته الطائرة أمامه، ثم استلّ سلاحًا من جعبته، وغادر الكرة الطائرة، متجهًا إلى المبنى، فى زيه الخاص، الذى أضفى عليه غموضًا وقوة ..

ولكن فجأة، تحرُك جزء من الجدار المواجه له، وانطلقت من خلفه عشرات الفقاعات الصغيرة، الشبيهة بفقاعات الصابون ..

وكان (سيف) يدرك طبيعة هذه الفقاعات جيدًا ..

إنها سلاح كيميائى خطير، ما إن تلمسه واحدةً من الفقاعات، حتى تنفجر، ويسيل منها سائل حارق، يكفى لإذابة درع من الصلب، بسمك خمسة سنتيمترات .

وتراجع (سيف) بسرعة، متفاديًا الفقاعات، وانتزع من جعبته مسحوقًا يشبه الدقيق الناعم، ونثره أمامه بحركة عنيفة ..

والعجيب أن ذرات المسحوق لم تتساقط أرضًا، أو تتطاير بفعل الرياح، وإنما تماسكت بغتة، وصنعت حاجزًا غرويًا، بينه وبين الفقاعات الطائرة ..

وبصورة عجيبة، اتجهت كل الفقاعات إلى الحاجز الغروى، وكأن شيئًا ما يجذبها إليه فى شدة، وراحت ترتطم به، وتنفجر، والسائل الناتج عن انفجارها يسيل فوق الحاجز، ويتفاعل معه، وتتصاعد لتفاعلهما أبخرة وردية خفيفة ..

ولم ينتظر (سيف) لمشاهدة كل هذا .

لقد ترك حاجزه الغروى يتصدى للفقاعات القاتلة، واستل من جعبته كرة زرقاء صغيرة، اندفع بها نحو المبنى، وألقاها بكل قوته على الجدار المواجه له ..

وانفجرت الكرة بدوى هائل، ارتجت له المنطقة كلها، وانهار الجدار، على الرغم من الصلابة الشديدة، للمادة التى صُنع منها. واقتحم (سيف) المكان فى جرأة مدهشة. ولم يكد يفعل، حتى انطلقت نحوه عدة خيوط من أشعة حارقة رهيبة، تصدّت حلته الواقية لبعضها، وقفز هو يتفادى البعض الآخر ..

وأمام عينيه مباشرة، بدا ذلك الجدار الرخو المتألق .. أحد جدران آلة الزمن المحدودة ..

وفى الداخل، هتف (رايت) :

- لقد توصلوا إلينا يا دكتور (سيجا) .

أجابه (سيجا)، وهو يوزع عليهم الثياب الواقية :

- إنه رجل واحد، وعليه أن يواجه كل دفاعاتنا، قبل أن يصل إلينا .. المهم أن تسرعوا بارتداء هذه الثياب الواقية، فالطاقة التى ستحيط بكم، بعد دقيقة ونصف من الآن، تكفى لتحويلكم إلى كومة من الرماد .

أسرعوا يرتدون الثياب الواقية، والجدران من حولهم تتألق أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

أما (سيف) ، فقد انتزع سلاحًا آخر من جعبته ، وأطلق أشعته ، التى تفوق أشعة الليزر ألف مرة ، على رتاج الباب الوحيد ، فى الجدار الرخو ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ لماذا يتألق هذا الجدار ؟.. ما الذى يخطط (سيجا) و (هيل) لفعله بالضبط ؟

كان منهمكًا فى عمله ، عندما لمح فجأة ظلًّا يجاور ظله ، فالتفت خلفه بسرعة ، ثم تراجع بحركة حادة ، وهو يتطلَّع إلى رجلين يصوبان نحوه سلاحيهما ..

وعلى الرغم من المظهر البشرى الذى يحملانه ، أدرك (سيف) على الفور أنهما مقاتلين آليين ، من طراز (س ـ ١٠١) ، وكل منهما مزوَّد بأشعة بروتونية فتَّاكة ، وقدرة على المناورة ، تفوق سرعتها ضعف سرعة الإنسان العادى ..

ومن حسن حظ (سيف) ، أنه لم يكن أبدًا شخصًا عاديًا ..

إنه أيضًا من طراز خاص ..

طراز رجل أمن ، خضع لبرنامج مكثف ، منذ أيامه الأولى ، بحيث يمكنه مواجهة مثل هذه الطـــرازات المقاتلة ..

وفى جزء من الثانية ، استعاد عقله المنظَّم كل التدريبات ، التى تلقاها فى الآونة الأخيرة ، بشأن التعامل مع المقاتلين ، من طراز (س ـ ١٠١) ..

وفى الجزء الثانى من الثانية ، ضغط المقاتلات الآليان سلاحيهما ..

وقفز (سيف) أرضًا ..

وفى آخر أجزاء الثانية ، كانت أشعتهما المخيفة ترتطم بالباب الرخو ، فى حين أطلق هو أشعة سلاحه ، قبل أن يستقر جسده على الأرض ..

وكان يعلم أين يصوِّبه بالضبط ..

منتصف العنق تمامًا ، حيث تختفى أجهزة التوجيه الرئيسية ..

وأصاب (سيف) هدفه ..

وسقط أحد المقاتلين الآليِّين ..

وفى سرعة ، استدار الآلى الثانى ، ليطلق أشعته على (سيف) ، إلا أن هذا الأخير تدحرج بمرونة فائقة ، وتفادى حزمة الأشعة القاتلة ، ثم دار حول نفسه ، وأطلق أشعة سلاحه ، نحو الآلى الثانى ..

وفى هذه المرة ، أصاب هدفه أيضًا ..

وعندما نهض (سيف) واقفًا ، بعد أن هزم خصميه الآليين ، كان الجدار قد بلغ درجة عالية من التألق ، حتى ليكاد الضوء الزمردى الصادر عنه يغشى بصر (سيف) ، لولا خوذته الواقية ، التى تمتص الأشعة الزائدة تلقائيًا ..

وأدرك (سيف) أن هذا التألق الفائق يعنى تطورًا كبيرًا .. وأن عليه أن يتحرك بأقصى سرعة ممكنة ..

كان يجهل عدد وسائل الدفاع ، التى يمكن أن تتصدى له ، ونوعياتها ، وخطورتها ..

ويجهل تمامًا ما ينتظره خلف الباب المتألق ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اندفع نحو الباب ، وهو يطلق أشعته على رتاجه ، فى غزارة لم يعرفها من قبل ..

وانهار الرتاج ..

واقتحم (سيف) الحجرة ..

وصاح (هيل) فى حدة وتوتر :

ـ اللعنة !

وصرخ (سيجا) :

ـ أوقفاه يا (رايت) و يا (رونجى) .

انتزع المساعدان سلاحيهما ، والجدران تتألق بشدة ، ولكن (سيف) أطلق أشعته أوّلًا ، ومزّق جزءًا يسيرًا من حلة (رايت) الواقية ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (هيل) :

ـ لقد أفسد ذلك الحقير خطتنا .

وصرخ (سيجا) :

ـ كلَّا .. الانتقال سيتم .. أغلق عينيك .. إنها اللحظة الحاسمة .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوت فرقعة قوية فى المكان ، وصرخ (سيجا) بانفعال جارف :

ـ الآن .

ولم يستوعب عقل (سيف) ما حدث ، فى اللحظة التى تلت صرخة (سيجا) !..

لقد تكوّنت كرة برتقالية هائلة ، احتوت فراغ الحجرة تمامًا ، ثم انقضت كلها على (سيف) ، الذى شعر وكأن قنبلة انفجرت فى صدره وعقله ، وتفككت لها أوصاله ، واندفع جسده بسرعة مخيفة ، عبر فراغ هائل رهيب ، واختلّ توازنه الحيوى كله دفعة واحدة ، وبدا وكأن الجدران قد تلاشت ، وظهرت السماء من خلفها ، وتعاقب عليها الليل والنهار فى سرعة مذهلة ، و ...

ودوى انفجار آخر ..

وتوقف عقل (سيف) عن التفكير ..

وعن الوعى ..

* * *

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى الدكتورة (فاتن)، وهى تستقبل خالها الدكتور (فتحى) فى (واشنطن)(★)، وعانقته فى حرارة، وهى تقول :

- حمدًا لله على سلامتك أيها الخال العزيز .. هل كانت رحلتك من (القاهرة) إلى هنا جيدة ؟

تنهّد الدكتور (فتحى)، وهو يطبع قبلة أبوية حانية على جبينها، قائلًا :

- لست أعتقد أن عظامى ما زالت تحتمل الجلوس لثمان عشرة ساعة متصلة .. إننى أحتاج إلى فراش وثير، ونوم عميق، ليوم كامل على الأقل، قبل أن أستعيد حيويتى .

ضحكت قائلة، وهى تقوده إلى سيارتها :

- ستجد أفضل فراش فى الدنيا، وسأتركك تنام ليومين لو أردت، فمن حسن الحظ أن المؤتمر سيبدأ بعد أربعة أيام .

تثاءب فى عمق، وهو ينقل حقيبته الوحيدة إلى السيارة، قائلًا :

(★) واشنطن : عاصمة (الولايات المتحدة الأمريكية)، على الضفة اليسرى لنهر (بوتوماك) فى مقاطعة (كولمبيا)، ولقد اختار موقعها (جورج واشنطن) بنفسه، وهى مخططة بكل عناية، وشوارعها كلها مستقيمة، وبها البيت الأبيض، و (الكابيتول)، ومكتبة (الكونجرس)، ودار المحفوظات القومية .



ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى الدكتورة (فاتن) ، وهى تستقبل خالها الدكتور (فتحى) فى (واشنطن) ..

ـ عظيم .. هذا يمنحنى فرصة كافية ؛ لتهدئة أعصابى قبل المؤتمر .

كانت تشعر بسعادة حقيقية لرؤية خالها ، الذى تولى رعايتها والعناية بها ، بعد وفاة والديها ، قبل أن تتجاوز العاشرة من عمرها ، وشجعها دائمًا على التفوق ، حتى أصبحت معيدة بقسم الطبيعة ، فى كلية العلوم ، ثم حصلت على وظيفة للتدريس فى جامعة (جورج واشنطن)(★) ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى استقرت بها ، وأصبحت أستاذة لمادة الفيزياء فيها ..

وفى حماس ، سألته :

ـ كيف حال عقارك الجديد يا خالى العزيز ؟.. أتعلم أنك قد تحصل على جائزة (نوبل)(★ ★) بسببه ؟!

(★) (جورج واشنطن) ـ (١٧٣٢ـ١٧٩٩م) : أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (١٧٨٩ـ١٧٩٧م) . ويلقبونه بلقب (أبو الوطن) . حارب الفرنسيين والهنود ، ثم قام بدور هام فى حرب الاستقلال . واشترك فى وضع الدستور الأمريكى ، وتم انتخابه مرتين للرياسة . ولكنه رفض الترشيح لفترة ثالثة .

(★ ★) جائزة (نوبل) : جائزة أوصى بمنحها (ألفريد نوبل) ، مخترع الديناميت السويدى ، وأوقف من أجلها مليون جنيه سنويًا ، تمنح فوائدها كجوائز لأحسن عمل فى الفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والفسيولوجيا ، والأدب ، ولأحسن عمل من أجل السلام الدولى ، ولقد قدمت هذه الجائزة لأول مرة ، عام ١٩٠١م .

تنهَّد وهو يقول :

ـ أو على رصاصة فى منتصف جبهتى .

رفعت حاجبيها فى دهشة لعبارته ، ثم خفضتهما وهى تضحك قائلة :

ـ هل تشاهد الكثير من الأفلام الأمريكية ، فى الآونة الأخيرة ؟

قال فى ضيق :

ـ أنت تعلمين أننى لستَ من هواة المشاهدة فالقراءة هى تسليتى الوحيدة ، ولكننى التقيت أمس بشخص حقير ، جعلنى أغير نظرتى للعالم أجمع .

هتفت فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟

زفر فى حرارة مغمغمًا :

ـ بل وأكثر من هذا .

وراح يقصّ عليها كل ما دار بينه وبين (جوناثان) ، وهى تستمع إليه فى دهشة واستنكار ، حتى انتهى من روايته ، فقالت :

ـ هل بلغت شهوة المال هذا الحد ؟

هزَّ رأسه ، وقال :

ـ هذا ما كشفه لى حديثى مع ذلك الوغد .

وانتابته موجة مباغتة من الغضب ، وهو يستطرد :

ـ أتتصورين أنه هددنى بالقتل ، ما لم أخضع لهم .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ القتل ؟!

ثم أضافت فى توتر :

ـ هذا يفسر الأمر كله .

أقلقته عبارتها ، فالتفت إليها ، يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟

توترت أصابعها فوق عجلة القيادة ، وهى تجيب :

ـ هناك سيارة تتبعنا ، منذ غادرنا المطار .

كاد يقفز من مقعده ، وهو يهتف :

ـ سيارة ؟!.. ماذا تعنين ؟.. أهى مطاردة مجرمين ؟.. هل سيقتلوننا ؟

زادت من سرعة السيارة ، التى تجاوزت قلب المدينة إلى الضواحى ، وهى تقول :

ـ لست أدرى .. إنها سيارة قوية ، بها أربعة أفراد ، وهى تتبعنا فى إصرار مخيف .

صاح بها :

ـ أسرعى إذن .. اهربى منهم .

قالت فى توتر شديد :

ـ لقد زدت من سرعة السيارة بالفعل ، ولكنهم يواصلون إصرارهم ، وسيارتهم أقوى من سيارتى بكثير .

صاح فى رعب :

ـ ماذا تعنين ؟.. هل سيلحقون بنا ؟

لم تجب (فاتن) هذه المرة ، بل زادت من سرعة سيارتها أكثر وأكثر ، وراحت تناور بها سيارة المطاردين ، ولكن قدرات سيارتها المحدودة لم تسمح لها بهذا ، فى حين حافظت السيارة الأخرى على المسافة بينها وبين سيارة (فاتن) ، على الرغم من أن محركها القوى كان يسمح لها بتجاوزها فى يسر ..

وفى خوف شديد ، هتفت (فاتن) :

ـ ماذا يفعلون بنا ؟.. ماذا يفعلون ؟!

حاول الدكتور (فتحى) أن يجد تفسيرًا منطقيًا ، ولكنه عجز بعقليته المثالية عن هذا ، فغمغم مرتجفًا :

ـ لست أدرى .. لم أعد أفهم .. لم أعد أفهم

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماته ، زادت سيارة المطاردين من سرعتها بغتة ، وناور سائقها فى مهارة مدهشة ، بحيث سارت تنطلق إلى يمين سيارة (فاتن) ، وفى خط محاذ لها تمامًا ، واتسعت عينا الدكتور (فتحى) فى ارتياع شديد ، وذعر لا حدود له ، عندما رأى أحد ركابها ينتزع من تحت إبطه مسدسًا ضخمًا ، من طراز (ماجنوم ـ ٤٤) ، ويصوب فوهته إليه مباشرة ، وهو يبتسم فى خبث شامت ، و.. ويضغط الزناد .

* * *

٤ ـ القـــادم ..

لم تراود الدكتور (فتحى) ذرة شك واحدة، فى أن ابتسامة المجرم المقيتة، وفوهة المسدس الواسعة، والسبابة التى ضغطت الزناد، هى آخر الأشياء، التى ستراها عيناه، قبل أن يلقى حتفه.

وأن هذا سيحدث فى غضون جزء من الثانية ..

ولكن الموقف كان أغرب مما يتخيل ..

لقد صوب المجرم المسدس إلى رأسه مباشرة، وضغط الزناد، و .....

ولكن شيئا لم يحدث ..

فقط أصدر المسدس تكة معدنية خافتة، امتزجت بضحكة المجرم الساخرة، وهو يخفض فوهة المسدس، قائلا:

ـ مستر (جوناثان) يرسل تحياته.

وانطلقت سيارة المجرمين مبتعدة، فضغطت (فاتن) فرامل سيارتها بحركة غريزية، وأطلقت إطارات السيارة صريرا مخيفا، وهى تعتصر الطريق الأسفلتى، وتتراقص

فيه على نحو بالغ الخطورة، قبل أن تتوقف إلى جانبه، و (فاتن) تلهث فى انفعال، وتهتف:

ـ ما هذا بالضبط؟.. ما الذى فعلوه؟

بدت عينا الدكتور (فتحى) جاحظتين، وهو يحدق فى وجهها، قبل أن يقول:

ـ تهديد .. تهديد عملى بالقتل.

سألته مذعورة:

ـ ماذا تعنى؟

لوح بكفه فى الهواء، وهو يجيب:

ـ لقد وصلوا إلىّ، وكان مسدسهم مصوبا إلى رأسى، والمجرم ضغط الزناد بالفعل، ولو كانت هناك رصاصات فى خزانته، للقيت حتفى على الفور .. هذه هى الرسالة، التى أرادوا إرسالها إلىّ.. إنهم يستطيعون قتلى فى أية لحظة.

صاحت فى انفعال:

ـ فلنبلغ الشرطة إذن.. لابد لنا من حماية.

لم تكد تتم عبارتها، حتى ارتفع صوت بوق دراجة آلية، من دراجات الشرطة، فهتف الدكتور (فتحى)، وهو يدفع الباب المجاور له:

ـ يا إلهى!.. استجاب القدر لرغبتك بسرعة مدهشة

يا (فاتن) ، ها هو ذا أحد رجال الشرطة .

صرخت فى هلع :

ـ لا .. لا تغادر السيارة .

ارتدّ إلى مكانه بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ لماذا ؟.. ماذا هناك ؟

لهثت مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ معذرة .. لم أقصد إثارة اضطرابك ، ولكن رجال الشرطة هنا يعيشون فى حذر دائم ، والقواعد تقتضى ألا تغادر السيارة ، إلا إذا طلب منك رجال الشرطة هذا ، ولو فعلت العكس ، سيتصوّرون أنك تغادر السيارة لتطلق النار عليهم ، وربما بادروك بإطلاق النيران .

ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ إلى هذا الحد ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ هكذا يتعاملون .

أوقف الشرطى درّاجته الآلية خلف سيارتهما ، واتجه إليهما سيرًا على الأقدام ، وانحنى ليسأل (فاتن) :

ـ أهناك أية متاعب ؟

حاولت أن تبتسم ، وهى تقول :

ـ كلا .. شعرت ببعض التعب فحسب ، فتوقفت لألتقط أنفاسى .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ـ حقًا ؟!.. كيف تركت إطارات سيارتك كل هذه الآثار إذن على الطريق ؟

ارتبكت ، وحاولت أن تجد تبريرًا ما ، ولكنه تابع وهو يعتدل :

ـ لا داعى .. أنا أفهم الموقف كله .

وعادت ابتسامته الساخرة إلى شفتيه ، مع استطرادته :

ـ ومازال مستر (جوناثان) يرسل تحياته .

قالها واستدار عائدًا إلى دراجته الآلية فى هدوء ، فى حين هوت عبارته على رأسيهما كالصاعقة ، فتبادلا نظرة ملتاعة ، وراقبا الشرطى ، وهو ينطلق مبتعدًا ، ويلوّح لهما بكفه ، ثم قال الدكتور (فتحى) ، فى بطء عصبى :

ـ أعتقد أنه من المنطقى أن نلغى فكرة اللجوء للشرطة .. لقد صدق ذلك الوغد ، عندما قال إن شرطتهم تختلف عن شرطتنا ..

عقدت (فاتن) حاجبيها طويلًا ، ثم عادت تدير محرّك السيارة ، قائلة :

ـ هناك حل بديل .

سألها ، وهى تنطلق بالسيارة :

ـ وما هو ؟

أجابته فى حزم :

- من المؤكد أنهم يعرفون رقم سيارتى ، وسيقودهم هذا ببساطة إلى عنوانى ، بحيث لن نكون آمنين أبدًا ، لذا فسنبدأ فى التعامل معهم بأسلوب الثعالب .. سنترك السيارة عند المنزل ، ونغادره من الباب الخلفى ، ثم نتسلل إلى أقرب شركة سيارات ، فنستأجر سيارة أخرى ، وننطلق بها إلى منتجعى الخاص .

قال فى دهشة :

- إلى ماذا ؟!

أجابته فى حسم :

- المنتجع الخاص .. فيلا صغيرة ، فى منطقة هادئة ، تحيط بها حديقة كبيرة ، ولها حوض سباحة خاص .. لقد ابتعتها لأنشئ فيها معمل أبحاثى الخاص ، بقرض ميسّر من البنك .. إنها جديدة ، ولم نتم أوراق تسجيلها بعد ، وسيصعب عليهم العثور علينا هناك .

تمتم ، وهو يهز رأسه متوترًا :

- أعتقد أنه حل جيد .. على الأقل ، ليس أمامنا سواه .

ثم لم يتبادلا كلمة واحدة بعدها ..

ولفترة طويلة ..

★ ★ ★

سعل الجنرال (هيل) فى قوة ، وهو يلوّح بكفيه فى قوة ، فى محاولة لإزاحة عاصفة الغبار ، التى أحاطت به ، وهتف فى غضب :

- ما كل هذا الغبار ؟!.. أى مكان حقير هذا ، الذى جئت بنا إليه يا (سيجا) ؟

أجابه (سيجا) فى صرامة :

- مكان لن يمكنهم اعتقالك فيه أيها الملول .. حاول أن تتكيّف بسرعة على الأمر ، قبل أن يصيبنى الضجر ، وأقتلك للتخلص من الشكوى .

قال (هيل) فى حدة :

- إننى أحاول ، ولكن ليس من السهل أن أستوعب هذا العصر .. هل ترى الجدران الصلبة ، والغبار ؟.. يا له من مكان قذر !

انحنى (سيجا) ليفحص (رايت) ، وهو يقول :

- ليست كل الأماكن هكذا ، فى هذا العصر ، ولكننى راجعت سجلات القرن العشرين كلها ، منذ فترة طويلة ، واخترت هذا الموقع بالذات ، فهو مصنع قديم ، مهجور منذ عام ألف وتسعمائة وستة وسبعين .

قال (هيل) فى حدة :

- ولماذا أتيت بنا إلى مكان حقير كهذا ؟

أجابه (سيجا) فى غضب :

- هل كنت ترغب فى أن نهبط وسط أكبر ميادين (نيويورك) ؟

انعقد حاجبا (هيل)، وهو يقول :

- (نيويورك) !.. كدت أنسى اسم تلك المدينة، التى أبيدت فى الحرب الأهلية الأخيرة .. أنحن الآن فى قلبها .

لم يجب (سيجا)، وهو يواصل فحص (رايت)، فى حين التصق (رونجى) بالجدار، وراح يلهث فى بطء، فسأل (هيل) :

- ماذا أصاب (رايت) ؟.. لماذا لم يستعد وعيه مثلنا ؟

نهض (سيجا)، وهو يقول فى ضيق :

- (رايت) لقى حتفه .

اتسعت عينا (رونجى) فى ارتياع، فى حين هتف (هيل) فى توتر :

- (رايت) ؟!.. كيف ؟.. لقد أتى معنا، ولكن يرتدى نفس الزى الواقى .

أجابه (سيجا) :

- ولكن رجل الأمن، الذى واجهنا، قبل عبورنا الزمن بلحظات، مزّق بأشعته جزءًا من زى (رايت)، ومن هذا الجزء تسرّبت الطاقة الهائلة، وقتلته على الفور .

هزَّ (رونجى) رأسه فى أسى، حزنًا على زميله، فى حين ضرب (هيل) راحته بقبضته، وهو يقول فى غضب :

- اللعنة !.. لو أننا فى زمننا، لقتلت رجل الأمن هذا، عقابًا له على مصرع (رايت) .

قال (رونجى) :

- ربما قتلته الأشعة نفسها، التى نقلتنا إلى هنا .

مطَّ (سيجا) شفتيه، وقال :

- أشك فى هذا .

التفت إليه (هيل) فى حدة، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟

أجابه، وعلامات التفكير العميق تملأ وجهه :

- لقد كان يرتدى زى الأمن الواقى، وخوذته المنيعة، ولقد احتواه الإشعاع كما احتوانا، وبنفس القوة تقريبًا .

قال (هيل) فى قلق :

- هل تعنى أنه من الممكن أن ..؟

قاطعه (سيجا) :

- نعم .. من الممكن أن يعبر نهر الزمن مثلنا .

ثم استدرك فى سرعة، وهو يرفع سبَّابته إلى وجهه :

- لقد دفعه فيض الطاقة بعيدًا، وربما هبط فى منطقة أخرى، بعيدة أو قريبة، ولكنه تلقَّى جرعة الطاقة نفسها،

التى تلقّاها كل منا ، ومن الطبيعى أن يصل إلى نفس الزمن .

هتف (رونجى) :

ـ أتمنى أن يصل ميتًا .

شرد (سيجا) ببصره ، وهو يقول :

ـ ربّما .. لم أجر حساباتى جيدًا بعد .. ربما يصل حيًا أو ميتًا ، ولكنه سيصل .

وازداد شروده لحظات ، قبل أن يضيف :

ـ إلى هذا الزمن ..

★ ★ ★

« رائع هو مشهد النجوم .. » .

غمغم الدكتور (فتحى) بهذه العبارة ، وهو مستلق على مقعد رخو عريض ، أمام حوض السباحة ، فى حديقة الفيلا ، التى ابتاعتها ابنة شقيقته (فاتن) ، التى جلست إلى جواره ، منهمكة فى تصفح كومة ضخمة من المجلات ، ولما لم يسمع تعليقها ، التفت إليها مكرّرًا :

ـ ألا تبدو لك النجوم جميلة ، فى ليلة دافئة كهذه ؟

أجابته فى شرود :

ـ إنها تبدو واضحة ، بسبب صفاء السماء ، وتباعد الفيلات عن بعضها ، و ...

قاطعها فى ضيق :

ـ لست أسألك عن رأى فيزيائى يا عزيزتى .. هل افتقدت كل اللمسات الشاعرية فى حياتك ؟

رفعت عينيها إليه ، وقالت :

ـ هل تعتقد أن الموقف الذى نواجهه ، يترك مساحة كافية للمسة شاعرية ؟!

تنهّد وهو يقول :

ـ إننى أتشبث بها ، فى محاولة لتهدئة نفسى الثائرة ، وإزاحة تلك الصورة الإجرامية المخيفة عن ذهنى ، و ....

انتبه فجأة إلى أنها لا تستمع إليه ، وإنما تحدّق فى صفحة لإحدى المجلات ، فقال :

ـ (فاتن) .. هل سمعت ما قلته ؟

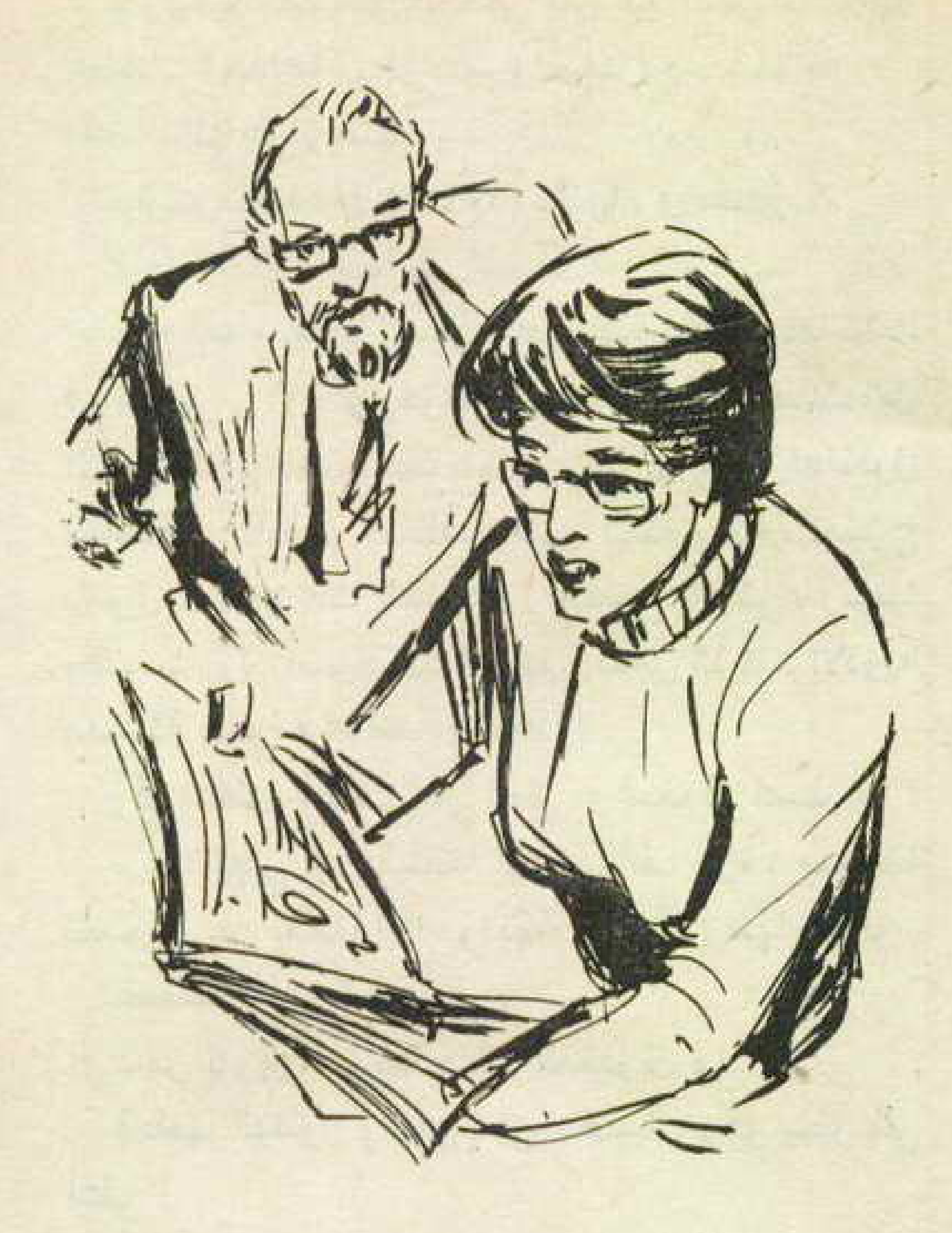
كان من الواضح أنها لم تسمع حرفًا واحدًا مما قاله ، فقد دفعت المجلة أمام عينيه بغتة ، وهى تسأله :

ـ أهذا هو (جوناثان) ، الذى أخبرتنى عنه ؟

ألقى نظرة طويلة على الصورة ، التى تضمّ (جوناثان) ، وهو يبتسم ابتسامته الباردة ، وإلى جواره رجل صارم الملامح ، حاد النظرات ، فى نهاية الخمسينات من عمره تقريبًا ، وقال :

ـ نعم .. إنه هو .

استعادت المجلة فى توتر ، وعادت تلقى نظرة على



استعادت المجلة فى توتر ، وعادت تلقى نظرة على الصورة ..

الصورة ، وهى تقول :

- هذا يعنى أننا نواجه مشكلة ضخمة بالفعل .

اعتدل ، وسألها فى قلق :

- لماذا ؟.. أهو أحد رجال السياسة ؟ .

هزت رأسها نفيا ، وهى تغمغم :

- ليته كان كذلك .

ثم رفعت عينيها إلى خالها ، مستطردة :

- إنه (كارل جوناثان) .. الذراع اليمنى لـ (دون رينالدى) .

سألها فى حيرة :

- ومن (دون رينالدى) هذا ؟.. أحد أصحاب مصانع المعكرونة الشهيرة .

بدت وكأنها على وشك البكاء ، وهى تجيبه :

- بل هو الزعيم .. الأب الروحى لكل عصابات (المافيا) الأمريكية .

امتقع وجهه فى شدة ، وهو يقول :

- (المافيا) !! هل تقصدين تلك العصابات الرهيبة ، التى يتحدثون عنها فى الصحف والروايات ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فسقط جسده على المقعد ، وهو يغمغم :

- رباه !.. كيف تورّطت فى مثل هذا الأمر ؟.. أواجه عصابات (المافيا) ، فى قلب (أمريكا) ؟!.. أنا ؟!..

ثم سألها فى عصبية :

- ولكن ما علاقة (المافيا) بالدواء والعقاقير ؟

هزّت رأسها ، قائلة :

- لم تعد (المافيا) مجرّد عصابات منظمة ، كما كانت فى الماضى .. الآن أصبحوا مؤسسة هائلة ، تدير مئات ، بل آلاف المشروعات ، بحيث يمكنهم غسل نقودهم ، كما تقول الصحافة ، فأموال المنظمة غير المشروعة ، تمتزج بأموال المشروعات القانونية ، ويصبح كل شىء رسميًا وقانونيًا ، ولن أستبعد أبدًا أن تكون بعض شركات الأدوية العملاقة مملوكة لمنظمة (المافيا) .

زفر الدكتور (فتحى) فى عمق ، وغمغم فى اضطراب :

- هذا يعنى أن مشكلتنا أضخم بألف مرة ، مما كنا نتصوّر .. لن يمكننا أبدًا مواجهة (المافيا) كلها وحدنا .

غمغمت (فاتن) فى أسى :

- من يدرى ؟.. ربما حدثت المعجزة ، و ....

قاطعها الدكتور (فتحى) فى عصبية ، وهو يشير إلى أعلى :

- أية معجزة تتوقعين .. أن تنشق السماء بغتة ، ويهبط

منها سيف العدالة ، ليهوى على رءوس المجرمين الـ ..

وفجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، وفى الموضع الذى يشير إليه بالضبط ، دوت فرقعة مكتومة ، وانشق الفراغ بغتة عن جسد بشرى ، داخل حلة داكنة ، وخوذة مستديرة تمامًا . على ارتفاع ثلاثة أمتار من حوض السباحة ..

ثم هوى ذلك الجسم فى قلب الحوض ، وغاص فيه كالصخرة .

غاص حتى الأعماق ..

★ ★ ★

٥ ـ العالم الجديد ..

امتلأت ملامح الدكتور (سيجا) بالغضب ، وهو يراجع الأسلحة ، التى أحضرها معه من المستقبل ، وقال فى حنق :

ـ تلك الطاقة أفسدت الكثير من الأسلحة .. لقد فقدنا نصفها على الأقل .

هتف (هيل) :

ـ اللعنة !

وقال (رونجى) فى قلق:

ـ هل تعنى يا سيدى أننا فقدنا قوتنا ؟

استدار إليه (سيجا) فى حدة ، قائلا :

ـ مطلقًا .. قوتنا لا تعتمد على الأسلحة فحسب ، وإنما على عقولنا المتطوِّرة ، وكل ما نعرفه عن تاريخهم .

غمغم (هيل)

ـ ومن يذكر شيئًا عن تاريخهم ؟

قال (سيجا) فى حزم :

ـ أنا .

ثم التقط من الصندوق شريحة صغيرة ، مستطردًا :

ـ لقد أحضرت معنا تاريخ القرن العشرين كله ، وسينطبق هذا التاريخ على كل ما مرّ بالعالم من أحداث .

وتألقت عيناه ، وهو يضيف فى لهجة عجيبة :

ـ حتى هذه اللحظة .

بدت الحيرة على وجه (رونجى) ، فى حين قال (هيل) :

ـ المفروض أن ينطبق التاريخ على كل الأحداث ، حتى لحظة عودتنا من زمننا إلى هذا الزمن المتخلِّف .

قال (سيجا) بسرعة :

ـ وماذا نفعل هنا إذن ؟

بدت نظرات التساؤل فى عينى (هيل) ، فتابع (سيجا) :

ـ ألم نعد إلى هنا لنغير التاريخ ؟.. من المؤكَّد أنه سيكون لنا شأن عظيم هنا ، فى هذا الزمن المتخلِّف كما تصفه ، ومن المؤكَّد أيضًا أن ما سنفعله سيكون بصمة واضحة فى التاريخ ، ولكن تاريخنا الذى نعرفه ، لم يذكر شيئًا عنّا .. ألا يعنى هذا أن التاريخ الذى ننتظره ، يختلف حتمًا عن ذلك الذى عرفناه ؟!

بدا مزيج من الحيرة والتساؤل ، فى عينى (هيل) و (رونجى) ، فلوَّح (سيجا) بكفيه ، وقال :

ـ لا داعى .. لا تحاولا الفهم .. المهم أن التاريخ سيتغير .. هذا ملخص الموضوع .

سأله (هيل) :

ـ وماذا عن رجل الأمن ؟

قال (سيجا) :

ـ حساباتى الأوَّلية تقول : إنه سينتقل معنا إلى هذا الزمن .. ربّما نسبقه بساعتين أو ثلاث ، ولكنه سيلحق بنا ، دون حتى أن يدرى ما أصابه ، فحلته لم تكن مؤهَّلة لمواجهة طاقة هائلة كهذه .. صحيح أنها ستبقيه حيًا ، ولكنه سيفقد الوعى لفترة طويلة .

قال (هيل) فى حنق :

ـ وعندما يستعيده ، سيواجهنا بجعبة أسلحة الأمن ، بعد أن فقدنا كل أسلحتنا .

التفت إليه (سيجا) فى حدة ، وقال :

ـ لم أقل : إننا فقدنا كل أسلحتنا .. مازلنا نمتلك ما يكفى لمواجهة جيش كامل ، ولكن هذا لا يحقق ما نرجوه ، فالمواجهة المباشرة هى آخر ما ينبغى أن نسعى إليه ، سنحتفظ بأسلحتنا للوقت المناسب ، أما الآن ، فعلينا أن نبحث عن مصدر قوة آخر .

قال (هيل) :

ـ ولماذا لم تحضر معك أضعاف هذه الكمية من الأسلحة ؟

أجابه فى صرامة :

ـ لم تكن الطاقة لتكفى كل هذا .. لقد أحضرت أقصى ما يمكن إحضاره .

قال (رونجى) فى حيرة :

ـ ولكن أية قوة تلك ، التى يمكننا العثور عليها هنا ، فى هذا الزمن ؟

ابتسم (سيجا) ابتسامة شيطانية ، وهو يقول :

ـ هل تذكر أسباب سقوط (أمريكا) يا رجل ؟

مطَّ (هيل) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

ـ أتقصد تلك الخزعبلات ، التى حشوا بها أدمغتنا ، فى مرحلة الدراسة الأوَّلية ؟!.. الفوضى ، والمادية ، والانحلال ، والتعصب .. هل تصدق هذا .

قال (سيجا) فى اهتمام :

ـ نسيت أهم الأسباب يا صديقى .. انتشار الجريمة المنظمة ، وتغلغل الفساد فى الأنظمة السياسية .

لوَّح (هيل) بذراعه ، قائلًا :

ـ ربّما .. لست أذكر تلك الدراسات السخيفة ، ولست أفهم حتى فيم يمكن أن تفيدنا ، فى هذا الزمن .

أجابه (سيجا) :

ـ ستساعدنا على أن نحظى بالقوة والسطوة ، وننشر نفوذنا على نطاق واسع ، وبسرعة مدهشة .

سأله (هيل) :

ـ وكيف هذا ؟

أشار (سيجا) بسبابته ، وهو يقول :

ـ بأن نتجه إلى مصدر القوة مباشرة .

ولكن نظرة الحيرة والتساؤل لم تفارق عينى (هيل) و (رونجى) ؛ فقد بدا لهما الدكتور (سيجا) فى هذه المرة غامضًا ..

غامضًا للغاية ..

★ ★ ★

اتسعت عينا الدكتور (فتحى) فى ذهول ، وهو يحدّق فى حوض السباحة ، حيث اختفى جسد (سيف) ، فى حين قفزت (فاتن) من مقعدها ، هاتفة :

ـ مستحيل !

وهنا انحلّت عقدة لسان الدكتور (فتحى) ، وتحرّرت أطرافه ، فهبّ بدوره ، قائلًا فى انفعال :

ـ المعجزة يا (فاتن) .. المعجزة .

تطلّعت (فاتن) إلى أعماق الحوض ، وقالت متوترة :

ـ إنه بشرى .. رجل .. وهو يغوص كما لو كان فاقد الوعى .

قال فى دهشة :

ـ أمن الممكن أن يغرق ؟

هتفت فى توتر :

ـ ولِمَ لا ؟

قالتها ، وهى تثب فى حوض السباحة ، فصرخ بها :

ـ لا .. لا تفعلى .

ولكنها لم تسمعه ، فقد غاصت فى الماء البارد ، واتجهت مباشرة نحو الجسد الذى يغوص فى الأعماق ..

كانت الأضواء السفلية فى الحوض تجعله واضحا ، فى زيه الفضى ، المكوّن من قطعة واحدة ، وخوذته الداكنة ، التى تشبه كرة سوداء متوسطة الحجم ، والحزام السميك ، الذى يحيط بوسطه كله ..

وعندما وصلت (فاتن) إليه ، خفق قلب الدكتور (فتحى) فى خوف ..

كان يخشى أن يتحوّل ذلك الشخص فجأة إلى وحش بشع رهيب ، كما يحدث فى روايات الرعب ، وينقض على ابنة شقيقته ، ويلتهمها ..

ثم لم يلبث أن طرد تلك الفكرة من رأسه ، عندما رآها تجذبه من زيه الفضى ، وتبدأ رحلة صعودها فى قوة ..

ولم تمض لحظات، حتى ظهر الاثنان على السطح، وهتفت (فاتن) :

ـ ساعدنى يا خالى .. ساعدنى .

أسرع يمدّ يده إليها ويجذبها إلى حافة الحوض، وهى تجذب (سيف) خلفها، ثم تعاون الاثنان على حمله إلى داخل الفيلا، والدكتور (فتحى) يهتف :

ـ إنه ليس أرضيًا .. هل تشعرين بملمس زيه ؟.. هل رأيت شيئًا كهذا فى أى مكان فى العالم ؟

تحسّست الزى مرة أخرى، قبل أن تقول فى انفعال :

ـ مطلقًا .. إنه نسيج عجيب، بلا خيوط أو وصلات، وهو ناعم للغاية، وشديد القوة فى الوقت ذاته، كما أنه .. أنه ..

أكمل خالها :

ـ بارد كالثلج .. أليس كذلك ؟.. كل هذا يؤكّد نظريتى .. هذا المخلوق ليس أرضيًا .

خدَقت (فاتن) فى قاعدة الخوذة، وهى تقول :

ـ ما هذا إذن ؟

تطلّع خالها إلى حيث تنظر، واتسعت عيناه فى دهشة عارمة، وهو يقرأ عبارة مكتوبة بحروف عربية واضحة، وتقول : « القوات متعدّدة الجنسيات ـ عربى »، فهتف :

ـ إنه عربى .. ولكن أى زى هذا ؟

قالت (فاتن)، وهى تمسك الخوذة :

ـ فلنؤجّل أسئلتنا لما بعد .. دعنا ننزع عنه هذه الخوذة أوّلا، حتى يمكنه التنفس فى ارتياح .

سرت قشعريرة باردة فى جسد الدكتور (فتحى)، عندما أمسكت هى الخوذة بكفيها. وتصوّر أنها ستنتزعها، فتجد أسفلها وجهًا مخيفًا، يقول :

ـ اتركينى أيتها الأرضية .. أنا مندوب من كوكب (فانكن) .

كما حدث فى واحدة من روايات الخيال العلمى، التى قرأها مؤخرًا، إلا أن الخوذة بدت ثابتة كالصخر، فى حين انبعث منها أزيز خافت، تبعه صوت يقول :

ـ محاولة لفتح الخوذة عنوة .

أبعدت (فاتن) يديها فى سرعة، وقال الدكتور (فتحى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟

غمغمت (فاتن) :

ـ جهاز دفاعى على الأرجح، لمنع أى شخص آخر من خلع الخوذة .

قال الدكتور (فتحى) :

- واللغة التى استخدمها .. إنها تبدو كعبارة عربية فُصحى ، ولكن طريقة نطقها عجيبة .

قالت (فاتن) :

- ليس هذا هو المهم الآن .. لابد أن نجد وسيلة لانتزاع الخوذة أوّلا ، وإلا تعرّض الرجل للخطر .

انتقل قلقها إلى خالها ، وهو يقول :

- كيف ؟.. هل يمكنك إيقاف عمل الجهاز الدفاعى ؟

صمتت لحظات ، قبل أن تقول فى حسم :

- ربما .. ساعدنى يا خالى .. سننقله إلى معملى .

هتف فى دهشة :

- معملك ؟!

أجابته فى سرعة :

- نعم .. عندى معمل أبحاث فيزيائى كامل فى القبو .. هل تصوّرت أننى ابتعت هذه الفيلا للهو ؟!

عاونها على نقل (سيف) الفاقد الوعى إلى القبو ، واختلط لهاثه بدهشته ، وهما يضعانه فوق منضدة واسعة ، وهتف :

- إنه معمل حقيقى !!.. ما كل هذه الأجهزة ؟

أجابته (فاتن) ، وهى تلهث بدورها :

- إنها أحدث ما توصّلت إليه التكنولوجيا ، من أجهزة الفحص والتحليل والاختبار .. ثمنها يتجاوز العشرة ملايين دولار .

أطلق صفير دهشة قويًا ، فاستدركت بسرعة :

- الجامعة هى التى دفعت ثمنها ، من الاعتماد المخصّص لأبحاثى .

سألها فى حيرة :

- وهل تساوى أبحاثك هذه القيمة ؟

أجابت فى اقتضاب ، وهى تدفع المنضدة ذات الإطارات ، التى تمتد فوقها جسد (سيف) ، نحو أحد الأجهزة :

- نعم .

ثم شعرت أن إجابتها لن تشبع فضوله العلمى ، فتابعت وهى توصل بعض الأسلاك لخوذة (سيف) :

- إننى أجرى بعض الأبحاث ، لحساب وكالة (ناسا) لأبحاث الفضاء .

هزّ رأسه ، مغمغمًا :

- آه .. فهمت .

ثم سألها ، مشيرًا إلى الأسلاك :

- ما الذى تحاولين فعله بالضبط ؟!


راقبها فى اهتمام شديد ، وهى تضغط بعض الأزرار ..

أجابت فى اهتمام ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر :

ـ أحاول حل شفرة الجهاز الدفاعى .

راقبها فى اهتمام شديد ، وهى تضغط بعض الأزرار ، قبل أن تقول :

ـ المفروض أن يعمل الجهاز الآن .

بدأت بعض المعادلات تتراص على شاشة الكمبيوتر ، فاستطردت :

ـ عظيم .. إنه يعمل ، و ...

وفجأة ، اختلطت المعادلات ببعضها ، وارتبك الكمبيوتر على نحو عجيب ، وراح يفرغ محتويات ذاكرته كلها على شاشته ، بسرعة مذهلة مخيفة ، جعلت الدكتور (فتحى) يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعثت بغتة حزمة من ضوء مبهر ، من قاعدة خوذة (سيف) ، وارتفعت رأسيًا لمسافة نصف المتر ، قبل أن تتشتَّت بغتة ، وتتحوَّل إلى صورة هولوجرافية بالغة الدقة ، بحيث بدت أشبه بشابة ضئيلة الحجم ، تقف فوق الخوذة تمامًا ، وتقول فى صوت هادئ حاسم :

ـ هذا الزى يخص رجال الأمن وحدهم، من طراز (ق.م.ج-٢٠٤٩)، ومحظور على المدنيين ارتداء الزى، أو العبث فيه، حتى لا يحفزوا أجهزته الدفاعية، فتضطر للتعامل معهم، وتدميرهم.

نطقتها بالعربية الفصحى، ثم راحت تعيدها بالإنجليزية، والفرنسية، وعدد آخر من اللغات، والدكتور (فتحى) و (فاتن) يحدقان فيها فى ذهول، ثم انتزع الدكتور نفسه من ذهوله، وقال:

ـ إنها رسالة هولوجرافية.

ساعدت عبارته (فاتن)، على أن تقول بصوت مبحوح:

ـ ولكنها متقنة للغاية، على نحو لم أشاهده، حتى فى معامل (ناسا)(★).

(★) (ناسا): (الإدارة القومية لعلوم الطيران والفضاء): الوكالة الأمريكية الحكومية المسئولة عن تطوير أبحاث الطيران والفضاء، وهى وكالة مدنية، تتبع فى مسئوليتها الرئيس الأمريكى مباشرة، وترجع جذورها إلى عام ١٩١٤م، عندما قرر السكرتير التنفيذى الأول (تشارلز د.ولكوت)، ضرورة إيجاد وتحفيز عملية تطوير الطيران، لمواجهة التطويرات الأوربية له، ومنذ ذلك الحين أصبحت (ناسا) هى أول مراكز أبحاث الطيران والفضاء فى العالم.

انتهت الصورة الهولوجرافية من رسالتها، واختفت بسرعة كما ظهرت، وعاد الدكتور (فتحى) يحدق فى جسد (سيف)، قبل أن يغمغم مبهورًا:

ـ من هذا الشخص بالضبط ؟

هزت (فاتن) رأسها فى حيرة، وهى تقول:

ـ لست أدرى .. ذهنى مضطرب للغاية، بحيث أعجز تمامًا عن تفسير الموقف كله. فقد تصورت فى البداية أنه ضمن أحد الأبحاث العسكرية السرية، التى تستخدم وسائل متطورة، لم يتم الإعلان عنها بعد، ولكن أجهزة زيه تبدأ رسائلها دائمًا بالعربية. وهذا يثير حيرتى، ثم إنه من المفروض أننى، بحكم عملى وتخصصى، أكثر اطلاعًا على أحدث منجزات التكنولوجيا. وعلى الرغم من هذا لم أر قط زيًا كهذا، ولا خوذة كهذه.

وشرد بصرها لحظة، قبل أن تضيف:

ـ كل ما يمكننى الجزم به، هو أن هذا الشخص هنا لهدف ما .. هدف قد يتجاوز معارفنا الإنسانية، ولكنه حتمًا هدف هام .. هام للغاية.

قالتها، وران على القبو صمت رهيب ..

صمت يحمل الكثير من الحيرة والتساؤل، و .. والخوف.

★ ★ ★

٦ - المافيا ..

انعقد حاجبا (دون رينالدى)، الأب الروحى لكل عصابات (المافيا) الأمريكية، فى غضب شديد، وهو يتطلّع إلى (جوناثان) فى صرامة، قائلًا :

- ماذا تعنى بأنكم فقدتم أثرهما يا (جوناثان) ؟.. إنهما مجرَّد مدنيين عاديين، وليسا رجلى مخابرات .

لوَّح (جوناثان) بكفه، قائلًا :

- أنت تعرف عشوائية الهواة يا (دون) .. لقد نجحنا فى إخافتهما، وأعتقد أنهما فهما رسالتنا، واستوعباها جيدًا، فخشيت الفتاة أن تعود إلى منزلها، وفرَّت إلى مكان آخر .

تضاعف غضب (دون رينالدى)، وهو يقول :

- هكذا ؟!

فأسرع (جوناثان) يضيف :

- ولكنها لن تذهب بعيدًا .. إنها كهاوية، ستنتقى مكانًا عاديًا .. فندق كبير، أو أحد الموتيلات المتناثرة على

الطريق، أو تستأجر منزلًا عاديًا .. وفى كل الأحوال سينشط رجالنا لتعقبها، وسنستجوب كل سمسار فى المنطقة، حتى نوقع بها، فى غضون ساعات قلائل .

مطَّ (دون رينالدى) شفتيه فى غضب، وهو يقول :

- أريد هذا العقار يا (جوناثان) .. إما أن نحصل عليه، أو لا يحصل عليه سوانا .. هل فهمت ؟

بقى (جوناثان) باردًا جامدًا لحظات، ثم أومأ برأسه فى بطء، مغمغمًا :

- فهمت يا (دون) .

شدَّ (رينالدى) قامته، وأضاف فى حزم :

- ولن أمنحك العمر كله لتفعل يا (جوناثان) .. أمامك فقط يوم واحد .. أربع وعشرون ساعة من الآن، وهذا يعنى أننى أريد إغلاق هذا الملف، قبل السابعة من مساء الغد .. هل تفهمنى جيدًا ؟

أومأ (جوناثان) برأسه مرة أخرى، وهمس :

- نعم يا (دون) .

وانحنى ملقيًا التحية على الأب الروحى، ثم غادر حجرة مكتبه الخاصة الفسيحة، ولم يكد يصل إلى سيارته، حتى قال لرجاله، الذين يحيطون بها :

ـ اتصلوا برجالنا فى (القاهرة)، واطلبوا منهم العد التنازلى، لتنفيذ الجزء الخاص بهم هناك، وسأمنحكم ست ساعات فحسب، للعثور على ذلك المصرى وقريبته .. هل فهمتم ؟.. ست ساعات فحسب .

غمغم الرجال فى وجوم :

ـ سنبذل قصارى جهدنا يا سيد (جوناثان) .

ومن خلف أستار نافذة حجرة مكتبه، تابع (دون رينالدى) انصراف (جوناثان)، وتمتم فى غضب :

ـ هذا الفتى يحمل وحشية غر جريح، ومكر ثعلب خبيث، وذكاء حمار مريض .

ومط شفتيه عن آخرهما، ثم استدار ليعود إلى مكتبه، ولكن عيناه اتسعتا عن اخرهما، وارتد كمن أصابته صاعقة، وهو يحدق فى (سيجا) و (هيل)، اللذين وقفا على مسافة مترين منه، يتطلعان إليه بدورهما، والأول يقول :

ـ مساء الخير يا (دون رينالدى) .

التصق (رينالدى) فى الجدار، وهو يقول فى عصبية :

ـ من أنتما ؟!.. كيف وصلتما إلى هنا ؟

أجابه (هيل) فى ازدراء :

ـ كان هذا أمرًا تافهًا .. إننا لم نبذل أدنى جهد .

أما (سيجا)، فقال فى هدوء :

ـ كنا نريد مقابلتك يا (دون) .

انتزع (رينالدى) نفسه من ذعره، واندفع نحو مكتبه، وضغط عدة أزرار بأصابع يده الخمسة، وهو يهتف مكررًا :

ـ كيف وصلتما إلى هنا ؟

تلقى حارساه الخاصان النداء، الذى أطلقته الأزرار، فاندفعا يقتحمان الحجرة بمدفعيهما الآليين، واتسعت عيونهما بدوريهما، عندما وقع بصراهما على (سيجا) و (هيل)، وهتف أحدهما :

ـ كيف بلغا حجرتك يا (دون) ؟

صاح به (رينالدى) :

ـ هل تسألنى أيها الغبى ؟

رفع الرجل مدفعه، ليصوبه إلى (هيل) و (سيجا)، فابتسم الثانى فى سخرية، فى حين قال الأول فى غضب، وهو ينتزع قرصًا صغيرًا من حزامه :

ـ هل تجرؤ على رفع سلاحك، فى وجه الجنرال (هيل) ؟

كان القرص بين سبابة (هيل) وإبهامه، أشبه بعملة معدنية صغيرة، ولكنه لم يكد يلقيه نحو الرجلين، حتى تضخم

على نحو مخيف وسريع ، وانقسم فى لمح البصر إلى نصفين ، اندفع كل منهما نحو أحد الرجلين ، وحجمه يتضاعف ويتضاعف ، إلى أن صار أشبه بغلاف رقيق هائل شفاف ، له لون أزرق باهت ..

حدث كل هذا فى ثانية واحدة ، حتى أن أحد الرجلين لم يملك الوقت الكافى للتراجع ، أو لإطلاق رصاصة واحدة ، فقبل أن يتلاشى ذهولهما ، كان الغلاف الأزرق الباهت قد التف حول كل منهما ، وأحاط به بسرعة مذهلة ، ثم التصقت أطرافه فى إحكام ..

واتسعت عينا (رينالدى) فى رعب هائل ، عندما سقط الرجلان أرضًا ، وهما يتنفسان فى صعوبة ، والغلاف يعتصرهما بقوة شديدة ..

وفى هدوء مخيف ، قال (سيجا) :

ـ هل يكفى هذا الدرس ، لتعلم أن مقاومتنا عقيمة يا (دون رينالدى) ؟

اختنقت الكلمات بعض الوقت ، فى حلق (دون رينالدى) ، ثم قال بصوت متحشرج :

ـ هل .. هل ستتركان الرجلين يختنقان ؟

مطَّ (هيل) شفتيه ، وقال فى تلذذ مخيف :

ـ ألا ترغب فى رؤية التجربة حتى نهايتها ؟!

قال (رينالدى) بصوت مرتجف :

ـ لا تتركهما يموتان .. إنهما من أكثر رجال العائلة إخلاصًا(★) .

كانت عيون الرجلين قد جحظت على نحو مخيف ، يشفّ عما يعانيانه من آلام رهيبة ، وهما يختنقان داخل الغلافين ، وعلى الرغم من هذا ، هزَّ (سيجا) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ زميلى وحده يمكنه إنقاذهما ، فالغلاف لن يطيع سواه .

مطَّ (هيل) شفتيه ، قائلًا فى جذل وحشى :

ـ ولكننى لا أرغب فى إفساد المشهد الجميل .. أرأيت كيف يعانيان ؟

ازدادت عينا (رينالدى) اتساعًا فى ذعر أكثر ، مع قول (هيل) ، فابتسم (سيجا) فى سخرية ، وقال :

ـ اغفر لزميلى يا (دون رينالدى) ، فطبيعته الوحشية تتلذذ بتعذيب الآخرين .

ثم استدار إلى (هيل) ، واستطرد فى صرامة :

ـ اطلق سراحهما .

أجابه (هيل) معترضًا :

(★) يطلق رجال (المافيا) على منظمتهم اسم (العائلة) .

ـ لماذا ؟.. ألم يحاولا قتلنا ؟

كرَّر (سيجا) فى صرامة أكثر :

ـ أطلق سراحهما .

مطَّ (هيل) شفتيه فى ضيق ، وهزَّ كتفيه فى استنكار ، ولكنه أشار بسبَّابته إلى الرجلين ، وقال :

ـ دعهما .

وأمام عينى (رينالدى) الذاهلتين ، تراجع الغلافان دفعة واحدة ، كما لو أنهما يطيعان (هيل) ، وأطلقا سراح الرجلين ، ثم عادا يندمجان فى غلاف واحد ، راح حجمه يتناقص فى سرعة ، وهو يندفع عائدًا إلى راحة (هيل) ، التى استقر فيها كقرص صغير مرة أخرى ، وضعه الجنرال فى جيبه ، فى حين راح الحارسان يتنفسان فى عمق ، وهما يلهثان ، وكأنهما يحاولان استعادة ما فاتهما من الهواء ، وقال (هيل) فى لهجة تشف عن عدم رضى :

ـ إنك تفسد متعتى دائمًا يا (سيجا) .

رمقه (سيجا) بنظرة صارمة ، ثم عاد يلتفت إلى (رينالدى) ، الذى نقل بصره من حارسيه إلى الرجلين الواقفين أمامه فى ذهول ، قبل أن يقول :

ـ من أنتما بالضبط ؟.. هل تعملان لحساب الحكومة ؟

قهقه (هيل) ضاحكًا ، فى حين ابتسم (سيجا) فى سخرية ، وقال :

ـ كلًا .. إننا نكره الحكومات مثلك تمامًا .

حاول (رينالدى) أن يستعيد رباطة جأشه ، وهو يسألهما :

ـ كيف دخلتما حجرتى إذن ؟.. كيف تجاوزتما كل رجال الحراسة ؟

اكتفى (سيجا) بابتسامة غامضة ، فى حين مطَّ (هيل) شفتيه ، وهزَّ كتفيه ، قائلًا :

ـ كان هذا غاية فى السهولة .

ثم ضغط زرًا خفيًا فى حزامه ..

وعادت عينا (رينالدى) تتسعان فى ذهول ..

لقد تلاشى جسد (هيل) تدريجيًا ، بمجرَّد الضغط على الزر ، حتى اختفى تمامًا ، فهتف (رينالدى) :

ـ ماذا فعل ؟.. هل .. هل تحوَّلَ إلى الرجل الخفى ؟

هزَّ (سيجا) رأسه ، وهو يرفع سبَّابته أمامه ، قائلًا :

ـ الرجل الخفى .. آه .. دعنى أستعد ما قرأته عن تاريخكم .. إنها رواية من روايات (هربرت جورج ويلز) .. أليس كذلك ؟

غمغم (رينالدى) مبهورًا :

ـ لست أعرف مؤلفها ، ولكننى رأيت الفيلم ..

أومأ (سيجا) برأسه متفهمًا، وهو يقول :

ـ آه .. يمكننى فهم هذا، فأمثالك لا يميلون إلى القراءة عادة .. وعلى كل حال .. (هيل) اختفى بالفعل، ولكن ليس بالوسيلة نفسها، التى جاءت فى الرواية أو الفيلم .. هيَا .. عد إلى شكلك المادى يا (هيل) .

عاد جسد (هيل) يتكوَن، فى نفس موضعه، حتى أصبح ماديًا واضحًا، فهتف الأب الروحى لعصابات (المافيا) :

ـ ما هذا بحق الشيطان ؟.. نوع من السحر ؟

ضحك (سيجا) هذه المرة، قبل أن يقول :

ـ لا ترهق نفسك فى البحث عن تفسير يا (دون رينالدى) .. المهم أننا لسنا عدوين لك .

زفر (رينالدى) فى حرارة، وقال :

ـ من حسن حظى . .

قال (هيل) بصوته الغليظ :

ـ إننا حليفان .

انعقد حاجبا (رينالدى)، وهو يقول :

ـ حليفان ؟!

أسرع (سيجا) يقول، وهو يرمق (هيل) بنظرة تحذيرية صارمة :

ـ زميلى يقصد أننا شريكان .. إننا نرغب فى عقد صفقة معك يا (دون) .

بدأ (رينالدى) يستعيد هدوءه وتوازنه، بعد أن اطمأن إلى أنهما ليسا عدوين، وقال فى اهتمام :

ـ أى نوع من الصفقات ؟

قالها وهو يعود للجلوس خلف مكتبه، فجذب (سيجا) مقعدًا، وجلس أمامه، وأشار لزميله بالجلوس، وهو يجيب :

ـ كل منا لديه ما يمكن أن يفيد الآخر يا (دون)، فنحن لدينا قوة، لم ولن يعرفها عالمك، قبل سنوات عديدة، وأنت تمتلك السطوة والاتصالات والـ..

قاطعه (رينالدى) :

ـ والمال .

أجابه (سيجا) فى هدوء :

ـ المال لا يقلقنا كثيرًا يا (دون)، فنحن نستطيع بوسائلنا الحصول على كل ما تحويه (فورت نوكس)(★) .. إن ما نحتاج إليه بالفعل هو شبكة الاتصالات والمعارف الهائلة، التى تميزت بها (المافيا) دائمًا .

(★) قلعة (فورت نوكس) : هى المكان الرئيسى، لحفظ احتياطى ومخزون الذهب، للولايات المتحدة الأمريكية، وهى قلعة عسكرية، أنشئت عام ١٩١٧م كمعسكر لتدريب قوات الجيش، ثم تحولت لقاعدة عسكرية دائمة، عام ١٩٣٢م، وفى عام ١٩٣٦م، تقرر اعتبارها المخزن الرئيسى لاحتياطى الذهب الأمريكى، ويتم تخزين الذهب فيها، فى مبنى مقاوم للقنابل، وتحت احتياطات أمن فائقة .

صمت (رينالدى) لحظات مفكرًا :

- إذن فأنت تطلب منى أن أوصلك بشبكة معارفنا، مقابل أن تمنحنى أسلحتك الفذّة هذه .. أليس كذلك ؟

ابتسم (هيل) فى سخرية، فى حين قال (سيجا) فى هدوء :

- كلّا .. ليس كذلك .. إننا لن نعطيك أسلحتنا .

انعقد حاجبا (رينالدى) فى توتر، فاستدرك (سيجا) فى سرعة :

- ولكننا سنعاونك على صنع أسلحة أخرى، تفوق أيضًا أحدث أسلحة هذا العصر .. أسلحة تمكّنك من تحدى جيوش العالم أجمع .

ران الصمت لحظات، ازداد انعقاد حاجبى (رينالدى) خلالها فى شدة، ثم انبسطت أساريره بغتة، وهو يقول :

- ومن يرغب فى تحدى جيوش العالم أجمع ؟.. أنتما تمتلكان القدرة على صنع أسلحة متطوّرة، وهذا أمر عظيم فى حد ذاته .. سننشئ مصانع أسلحة جديدة، وننتج أسلحتكما المتطوّرة، ثم نستغل موهبتكما لاختلاق أكبر كم من المشاحنات والخلافات، بين الدول والحكومات، ليشتعل أكبر كم من الحروب، فى كل قارات العالم، ونبيع الملايين من الأسلحة، وتتدفق علينا المليارات والمليارات .

وبدا مبتهجًا بشدة، وهو يضحك مستطردًا :

- هذا عظيم .. عظيم للغاية .. إننى أعشق الحياة على هذا النمط .

ثم مدّ يده إلى (سيجا) و (هيل)، متابعًا فى حماس :

- اتفقنا .. نحن حليفان، منذ هذه اللحظة .

ابتسم (هيل) بلا حماس، فى حين برقت عينا (سيجا) فى ظفر، وهو يمدّ يده، ليستقبل يد (رينالدى)، ويتصافحان فى حرارة، وكأنهما يعلنان مولد تحالف جديد فى حاضرنا ..

تحالف قوى الشر ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة صباحًا بتوقيت (القاهرة)، عندما ارتفع رنين جرس الباب، فى شقة الدكتور (رفعت حسن) .. المساعد الوحيد للدكتور (فتحى)، فهبّ من فراشه منزعجًا، وأسرع إلى الباب، قائلًا :

- من الطارق ؟.. من هناك ؟

أتاه صوت رصين، يقول :

- الرائد (حسن) .. من المباحث الجنائية .

ارتجف جسد (رفعت) فى خوف، ولكنه أسرع يفتح الباب، فوجد أمامه رجلان، قال أحدهما فى جدية :

- أنت الدكتور (رفعت)، مساعد الدكتور(فتحى) .. أليس كذلك ؟

أجابه (رفعت) فى قلق :

- بلى .. ماذا هناك بالضبط ؟

دلفا إلى المنزل فى خفة، وظلَ أحدهما على صمته، فى حين تابع الآخر :

- معمل الدكتور (فتحى) احترق .

صاح (رفعت) فى ذعر :

- رباه !.. وماذا عن الكمبيوتر ؟

أجابه فى هدوء :

- تحطم تمامًا .

انهار الدكتور (رفعت)، على أقرب مقعد إليه، وهو يقول :

- يا للخسارة !.. أبحاث عامين ضاعت كلها .

سأله الرجل :

- هل كانت معادلات العقار الجديد مسجلة عليه ؟

هزَّ (رفعت) رأسه نفيًا، وقال :

- كلَّا .. المعادلات كلها مسجلة على أسطوانة كمبيوتر واحدة، لا تفارق جيب الدكتور (فتحى) قط، ولكن الكمبيوتر كان يحوى تفاصيل أبحاث أخرى، لتطوير العلف الحيوانى، و ...

قاطعه الرجل فى حزم :

- وماذا عنك ؟.. ألا تحفظ المعادلات ؟

أجابه (رفعت) :

- مستحيل .. إنها معادلات معقَّدة للغاية .. حتى الدكتور (فتحى) لا يمكنه حفظها، ولا توجد منها حاليًا، سوى نسخة واحدة، هى تلك التى يحتفظ بها .

أشعل الرجل سيجارته، وهو يقول :

- ولكنك تستطيع التوصل إلى العقار نفسه، بعد أن شاركت الدكتور (فتحى) فى كشفه .

عاد (رفعت) يهزّ رأسه، قائلًا :

- لن يكون هذا هينًا، ولكن لو واصلت العمل لعام أو عامين، فربّما أمكننى هذا .

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة لم ترق لـ (رفعت)، وهو يقول :

- وهل تعتقد أنك ستحيا لعام أو عامين ؟

شعر (رفعت) بالتوتر، وهو ينهض من مقعده، قائلًا :

- ماذا تعنى بسؤالك هذا ؟.. أأنت رجل شرطة ، أم ...

قبل أن يتمّ عبارته ، أحاط سلك رفيع بغتة برقبته ، واعتصرها فى قوة ، فشهق فى ذعر ، وتذكَّر الرجل الثانى ، الذى التفّ حوله ، دون أن ينتبه إليه ، وحاول أن يقاوم فى استماتة ، ولكن السلك الرفيع انغرس فى عنقه أكثر وأكثر ، حتى جحظت عيناه ، وهما تتطلعان إلى الرجل الأوَّل ، الذى ظلّ ينفث دخان سيجارته فى هدوء ، وهو يراقب (رفعت) ، الذى قاوم ، وقاوم ، وقاوم ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ، وتراخى جسده على المقعد تمامًا ..

وعلى الرغم من أن كل ذرة فى كيانه كانت تعلن أنه قضى نحبه ، إلا أن القاتل ظلّ يعتصر عنقه بكل قوته لدقيقة أخرى ، قبل أن يفلت السلك ، ويرفع عينيه إلى الآخر ، الذى أطفأ سيجارته بلا مبالاة ، وقال :

- عظيم .. انتهينا من الخطوة الثانية .. بقى أن نقلب شقة الدكتور (فتحى) رأسًا على عقب ، فإما أن نعثر على تلك الأسطوانة ، التى تحمل المعادلات ، أو نسخة منها ، وإما أن نبرق لمستر (جوناثان) فى (نيويورك) ، ونخبره أن الخطة قد تم تنفيذها بحذافيرها ، وعليه أن يواصل عمله هناك .. وحتى النهاية .

★ ★ ★



قبل أن يتم عبارته ، أحاط سلك رفيع بغتة برقبته ، واعتصرها فى قوة ، فشهق فى ذعر ..

نفث (جوناثان) دخان سيجارته فى عمق، وهو يقف فى شرفة فيلته، المقامة فوق ربوة عالية، تطلّ على العاصمة كلها، واستغرق عقله فى تفكير عميق، وهو يبحث عن أجوبة لعشرات التساؤلات :

أين اختفى (فتحى) و (فاتن) ؟..

وكيف ؟..

هل يتحركان بوحى من فطرتهما، أم أنه هناك من يحركهما ؟..

وأين التركيبة السرية للعقار ؟

كيف أخفاها الدكتور (فتحى) عن الجميع ؟

لماذا تعامل معها بكل هذه السرية ؟

كانت الأفكار والتساؤلات تتصارع وتتطاحن فى عقله، عندما اندفع إليه أحد رجاله، قائلًا فى حماس :

ـ عثرنا عليهما يا مستر (جوناثان) .

التفت إليه (جوناثان) فى سرعة، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

لم يستغرق خروجه عن بروده الأسطورى سوى لحظة واحدة، استطرد بعدها فى تماسك :

ـ وأين هما ؟

أجابه الرجل :

ـ فى فيلا صغيرة فى الضواحى، ابتاعتها الفيزيائية، ولكنها لم تسجلها باسمها بعد .

سأله (جوناثان) :

ـ كيف عثرتم عليها إذن ؟

أجابه الرجل مبتسمًا فى زهو :

ـ هل تذكر (ألبرتو) ؟.. ذلك السمسار البدين الأصلع، صاحب السيجار الضخم، الذى لا يشتعل أبدًا .. لقد أعطيناه وصفًا كاملًا للمرأة، فتعرّفها على الفور، وأرشدنا إليها .

سأله (جوناثان) فى شك :

ـ وهل أطلعتموه على صورتها ؟

ضحك الرجل، وقال :

ـ بل هو فعل .. لقد أطلعنا على صورتها، فى إحدى المجلات التى يحتفظ بها، وأكّد أنها هى التى نتحدّث عنها، والتى باعها تلك الفيلا .

بدا الارتياح على وجه (جوناثان)، وهو يقول :

ـ عظيم .. من المؤكّد أن الدكتور (فتحى) بصحبتها .. لقد اتجهت إلى الفيلا؛ لأنها ليست مسجّلة باسمها، وتصوّرت أننا لن نستطيع التوصّل إليها هناك .

ونفث دخان سيجارته مرة أخرى، وهو يفكر فى عمق، ثم أضاف :

- لذا فمن الضرورى أن تعرف أننا نستطيع العثور عليها ، فى أى مكان تذهب إليه .

وصمت لحظات أخرى ، ثم التفت إليه ، قائلًا :

- أرسل (مورجان) إليهما ، مع أربعة رجال آخرين ، وقل له : إنه من الضرورى أن يشعرهما بالخوف ، إلى الحد الذى يجعلهما يرتجفان ، حتى مطلع الفجر .

سأله الرجل فى لا مبالاة :

- هل يستخدم معهما القوة ؟.. يطلق النار على ساق الرجل مثلًا ، أو يكسر أنف المرأة ؟

ابتسم (جوناثان) ، وهو يقول :

- فقط إذا قاوماه ، فسنؤجّل استخدام القوة للمرحلة الثانية ، إذا اقتضى الأمر .

وضاقت عيناه ، وهو يستطرد :

- أما إذا اضطرانا للانتقال إلى المرحلة الثالثة ، فسيكون هذا من سوء حظهما ، إذ لن يصبح أمامنا سوى حل واحد .. أن نقتلهما .

وألقى سيجارته من الشرفة ، وهو يبتسم ابتسامة مخيفة ..

ابتسامة شيطان بشرى .

★ ★ ★

٧ - الخطــر ..

ابتسم (رونجى) فى سخرية ، وهو يدير عينيه فى القصر الفخم ، الذى منحه (دون رينالدى) لـ(سيجا) و (هيل) ، وقال :

- أهذا أعظم ما لديهم هنا ؟

- أجابه (سيجا) فى هدوء :

- لا تنس أننا نسبقهم بخمسة وخمسين عامًا من التطور ، وهم لم يخترعوا بعد منظم الهواء ، ومانع التلوث ، والجدران المكيفة ، وكل الأشياء الأخرى ، التى اعتدناها ، فى حياتنا اليومية .. ومن الضرورى أن تعتاد بدائيتهم ، فسنحيا فى هذا العصر إلى الأبد ، وسنضطر للتنقل بسياراتهم ، ذات الوقود المتخلف ، والنوم على أسرّتهم الصلبة .

قال (رونجى) فى ضيق :

- هذا أكثر ما يرهقنى .. إننى أفتقد النوم على دافعات الهواء الدافئ .

استدار (سيجا) إلى (هيل) ، وقال :

- ولكنك لن تلبث أن تعتاد كل شىء هنا يا (رونجى) ..

أليس كذلك يا (هيل) ؟

همهم (هيل) بكلمات غير مفهومة ، ولكنها تحمل نبرة غاضبة ، جعلت (سيجا) يسأله فى اهتمام :

ـ هل تبغض المكان إلى هذا الحد ؟

لوّح (هيل) بذراعه ، وقال :

ـ يمكننى أن أحتمل المكان ، ولكننى أرفض أسلوبك المتخاذل ، فى هذا الزمن الأبله .

تراجع (سيجا) فى مقعده ، وازدادت عيناه ضيقًا ، وهويقول :

ـ أسلوبى المتخاذل ؟!.. ما الذى تقصده بهذا القول الوقح يا (هيل) ؟

انفجر (هيل) بغتة ، وكأنه كان يكتم انفعالاته طوال الوقت ، وهتف :

ـ لماذا نضطر للتحالف مع ذلك الحقير (رينالدى) ؟.. إننا نستطيع أن نسحقه فى لحظات ، ثم إننا نمتلك أسلحة تكفى لإبادة جيش كامل ، كما قلت بنفسك ، فلماذا نتحالف مع أى كائن كان ، فلنفرض سطوتنا على الجميع ، ونضرب ضربتنا ، التى تضعنا على قمة العالم .

انعقد حاجبا (سيجا) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ وماذا بعد أن تبيد جيشًا كاملًا ؟

قال (هيل) فى عصبية :

ـ أى سؤال هذا ؟.. أنتصر بالطبع .

اعتدل (سيجا) فجأة ، وهو يقول فى غضب :

ـ بل تكون قد فقدت كل أسلحتك ، دون أن تبيد سوى جيش واحد ، وبعدها تتحوّل إلى شخص عادى ، لا فرق بينه وبين أدنى مواطن فى القرن العشرين ، ولن يحتاج الأمر لجيش كامل لمواجهتك ، ولا حتى لفرقة من الرجال ، ستكفيك رصاصة واحدة ، من قنّاص محترف .

قال (هيل) فى دهشة :

ـ وهل يمكن أن نفقد أسلحتنا ؟

صاح فى وجهه بغضب :

ـ وهل تصوّرتها نبعًا لا ينضب ؟.. لقد فقدنا الكثير منها ،فى أثناء انتقالنا عبر الزمن ، والمتبقى يكفى ليجعلنا لعنة ، على كل رجال الشرطة فى (أمريكا) ، ولكنه لا يكفى للتصدّى لجيوش منظمة .

قال (هيل) فى عناد :

ـ ولمَ لا نصنع المزيد من الأسلحة المتقدّمة ؟

أجابه (سيجا) فى حزم :

ـ لأن خامات تصنيعها لم تتوافر بعد ، وتحتاج إلى إنتاج هائل لصنعها ، فى هذا الزمن .. كل التكنولوجيا

المعروفة هنا ، لن تنجح فى إنتاج دائرة (ميجا لوكترونية) واحدة .. هل فهمت ؟

مطّ (هيل) شفتيه ، دون أن ينبس بحرف واحد ، فتابع (سيجا) فى صرامة :

ـ إننا نحتاج بشدة للتحالف مع (دون رينالدى) ، فى هذه المرحلة على الأقل .. سيمنحنا السطوة والنفوذ ، وبوساطته يمكننى إعداد خطة تصنيع كاملة .. سنعطيه الأسلحة المتطوِّرة كما أراد ، وسنصنع فى الوقت ذاته جيشنا الخاص ، المكوَّن من آلاف المقاتلين الآليين ، وعندما يصبح كل شىء جاهزًا ، وعلى ما يرام ، لن نصبح بحاجة إلى (رينالدى) وأمثاله ، بل سنصبح نحن القوة الضاربة العظمى ، فى الكوكب كله .

برقت عينا (هيل) ، وهو يقول فى نشوة :

ـ وعندئذ نقتل (رينالدى) هذا .

ابتسم (سيجا) ، وقال :

ـ عندئذ يمكنك أن تقتل كل من يحلو لك أن تقتله .

برقت عينا (هيل) أكثر ، وقال :

ـ سأضع (رينالدى) اللعين على رأس القائمة .

أجابه (سيجا) فى صرامة :

ـ إنك لن تفعل إلا ما آمرك بفعله .

التفت إليه (هيل) فى غضب ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟

شعر (رونجى) بالخطر ، وهو يراقب غضب (هيل) الهادر ، عندما قال (سيجا) فى حزم :

ـ أعنى أننى سأصبح القائد ، من الآن فصاعدًا !

احتقن وجه (هيل) فى شدة ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجه (سيجا) ، الذى ظلّ يتطلّع إليه فى صرامة شديدة .

وتصوَّر (رونجى) أن المكان سيتحوَّل بغتة إلى ساحة قتال ، وأن (هيل) سيسحب سلاحه ، وينقضّ على (سيجا) ليقتله ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

يبدو أن (هيل) قد درس الموقف جيدًا ، فى واحدة من المرات النادرة ، التى يسمح لعقله فيها بالتفكير ، وأدرك أن (سيجا) هو القائد بالفعل ، شاء أم أبى ؛ فهو الذى يفهم كل ما يحدث حوله ، وهو الذى درس تاريخ القرن العشرين ، كما أنه هو الذى صنع آلة الزمن ، ويملك سر صنع الأسلحة الأخرى ..

ما الجدوى من قتاله إذن ؟..

وشيئًا فشيئًا ، راح احتقان وجه (هيل) يزول ، قبل أن يغمغم فى عصبية :

- فليكن .. لن أقاتلك من أجل هذا .

بدا مزيج من الظفر والارتياح ، على وجه (سيجا) ، وهو يقول :

- عظيم .. هكذا نكون قد وضعنا النقط على الحروف .

ثم استرخى فى مقعده ، مستطردًا :

- والآن استمعا إلى خطتى جيدًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى شراهة :

- خطة السيطرة على الكوكب الأرضى .

وفى هذه المرة ، تألقت عيناه على نحو عجيب ..

ومخيف ..

مخيف للغاية ..

★ ★ ★

جلست الدكتورة (فاتن) أمام شاشة الكمبيوتر ، فى معملها الصغير ، تراقب ما يتراص على شاشته ، وبدت على وجهها علائم الاهتمام الشديد ، وهى تقول لخالها الدكتور (فتحى) ، الذى لم يتوقف عن فحص خوذة (سيف) بعد :

- هذا النسيج لا مثيل له على كوكب الأرض !

رفع عينيه إليها ، وقال فى دهشة :

- ماذا تعنين ؟!.. أنحن أمام مخلوق من الفضاء الخارجى ؟

هزت كتفيها ، وهى تقول :

- لن أستبعد هذا الاحتمال ، على الرغم من غرابته ، فنسيج هذا الزى ، الذى يرتديه ، أقوى مائة مرة من (الكيفلار)(★) ، الذى نعرفه هنا ، وخيوطه تكاد تمتزج ببعضها ، ثم أنه يحوى نوعًا من الطاقة المجهولة ، التى عجز جهاز الفحص عن تحليلها ، فلا هى بالطاقة الكهربية ، أو المغنطيسية ، أو حتى مزيجًا منهما ، بأية نسبة كانت ، بل هى تبدو كما لو كانت طاقة سالبة ، معدة للتعادل مع مصادر الطاقة الأخرى .

استمع إليها الدكتور (فتحى) فى ذهول ، وعاد يحدق فى الجسد المسجى أمامه ، وهو يردد مبهورًا مبهوتًا :

- مخلوق من الفضاء الخارجى !!.. هل تعلمين ما يعنيه هذا ؟.. إنه كشف العمر ، بالنسبة لعالمة فيزيائية مثلك .. أول اتصال مع كائن من الفضاء الخارجى .

(★) الكيفلار : نسيج شديد القوة والترابط ، تم ابتكاره حديثًا ، لاستخدامه كدروع مقاومة للرصاص ، وهو يفوق الدروع القديمة فى كونه أخف وزنًا ، وأكثر متانة ، بحيث ينجح فى احتجاز الرصاصات الأكثر قوة .

قالت فى توتر :

ـ ولكن ماذا عن الرسائل التى تطلقها خوذته ؟.. إنها تتحدث العربية والإنجليزية ، والفرنسية ، وكل اللغات الأخرى تقريبًا !!

قال فى حماس:

ـ لأنه أتى إلى كوكب الأرض .. أعنى أن رحلته لم تكن عشوائية .. لقد أتى بإرادته ، واستعد للقاء سكان كوكب الأرض ، فبرمج زيه بلغاتهم .

قالت فى حيرة :

ـ لماذا يبدأ رسائله باللغة العربية الفصحى إذن ، على الرغم من أنه اختار (أمريكا) لهبوطه ؟!.

ثم لوّحت بكفها ، مستطردة :

ـ مازالت هناك أمور كثيرة ، تحتاج إلى تفسير .

قال الدكتور (فتحى) ، مشيرًا إلى جسد (سيف) :

ـ المهم أنه هنا .. بين أيدينا .. حىّ يُرزق .

التفتت إليه ، وقالت فى لهجة عجيبة ، حملت رنة أسى واضحة :

ـ ومن قال : إنه حى يُرزق ؟

بُهت لسؤالها ، وغمغم مرتبكًا :

ـ أعتقد أنه كذلك .

سألته :

ـ هل فحصت نبضه ؟

أجاب بسرعة :

ـ لم أشعر بأى نبض ، ولكن من الواضح أن الزى الذى يرتديه ، يعزله تمامًا عن كل المؤثرات الخارجية ، ويعزلنا نحن عن مؤثراته الداخلية ، ولن يمكننا تحسّس نبضه عبره .. ثم إنه من المحتمل ألا تكون له دورة دموية كالتى نعرفها .. هل نسيت أنه من عالم آخر ؟!

هزّت رأسها ، وتركت شعرها الأسود يتطاير حول وجهها ، قبل أن تسند جبهتها على راحتها المفرودة ، وتقول فى خفوت :

ـ لا دليل على الحياة إذن .

أراد الدكتور (فتحى) أن يقول شيئًا ما ، ولكنه لم يكد يفتح شفتيه ، حتى ارتفع رنين جرس الباب بغتة ، فاعتدلت (فاتن) قائلة :

ـ من هذا ؟

سألها خالها فى قلق :

ـ لست أدرى .. هل يعلم أحد بوجودك هنا ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ مطلقًا .

أجابها فى توتر :

- من يأتى فى هذه الساعة إذن ؟.. إنها تقترب كثيرًا من منتصف الليل .

نهضت قائلة فى ارتباك :

- دعنا نلق نظرة أوّلًا ، قبل أن يقتلنا الخوف .

صعدا معًا فى حذر ، إلى الطابق الأرضى ، ولم تكد (فاتن) تصل إليه ، حتى أطلقت شهقة ذعر ، وتراجعت فى عنف ، حتى أنها كادت تسقط مع خالها داخل القبو مرة ثانية ..

لقد رأت أمامها خمسة رجال ، داخل ردهة الفيلا بالفعل ، يتطلعون إليها بنظرات صامتة ، ووجوههم تكاد تعلن طبيعتهم الشريرة ..

وفى عصبية وخوف ، هتف الدكتور (فتحى) :

- من أنتم ؟.. ماذا تريدون منا ؟

تقدّم منه رجل ضخم الجثة بصورة مخيفة ، وقال وهو يشير إلى صدره :

- اسمى (مورجان) ، وهؤلاء الأربعة أفراد فريقى .

سألته (فاتن) بصوت مرتجف :

- أى فريق هذا ؟

ابتسم الرجال فى سخرية ، و (مورجان) يجيب :

- فريق مصاصى الدماء .

قهقه أحد الرجال ضاحكًا ، على نحو جفت معه الدماء فى عروق (فاتن) ، وارتعد له صوت خالها الدكتور (فتحى) ، وهو يقول :

- ما .. ماذا تريدون منا يا سيِّد (مورجان) ؟

ابتسم (مورجان) ابتسامة مقيتة كبيرة ، كشفت عن صفين من الأسنان الضخمة القوية ، التى صبغها التبغ بلون أصفر داكن ، ورائحة قبيحة ، تسللت إلى أنف الدكتور (فتحى) ، عندما مال (مورجان) نحوه ، وقال فى بطء :

أنت الدكتور (فتحى مختار) .. أليس كذلك ؟

خفق قلب (فاتن) فى قوة ، فى حين هوى قلب الدكتور (فتحى) بين قدميه ، وهو يقول مرتجفًا :

- هل .. هل تعرفنى ؟

اعتدل (مورجان) فجأة ، وأطلق ضحكة عالية بغيضة ، قبل أن يقول :

- أعرفك .. لا .. لست أعرفك يا رجل .. ومن حسن حظك أننى لا أعرفك ، فكل من أعرفهم ، من خارج العائلة ، يرقدون فى مقابر المجهولين .

استجمعت (فاتن) شجاعتها ، وصاحت به :

ـ ما الذى تريده منا ؟

توقف (مورجان) عن الضحك ، وانحنى كثيرًا ليقترب بوجهه من وجهها ، وهو يقول :

ـ ماذا أريد منكما ؟!.. بالنسبة لى ، لست أريد شيئًا محدودًا ، ولكن مستر (جوناثان) كلفنى بتوصيل تحياته إليكما .

شحب وجه (فتحى) ، وهو يهتف :

ـ (جوناثان) ؟!.. (كارل جوناثان) ؟

اتسعت ابتسامة (مورجان) ، وهو يقول :

ـ أنتما تعرفان مستر (جوناثان) إذن .. عظيم .. هذا سيجعل المهمة أكثر سهولة .

استجمعت (فاتن) المزيد من شجاعتها ، وشدّت قامتها فى اعتداد ، وهى تقول له :

ـ قل لـ (جوناثان) هذا : إن تهديده لن يخيفنا ، وإن .

هتف (مورجان) يقاطعها فى شراسة :

ـ تهديده ؟!

ثم أمسك كتفى (فاتن) بغتة ، وغرس أصابعه فيهما ، حتى أنها أطلقت صرخة ألم ، وهو يستطرد :

ـ آه .. أنتما لم تفهما الأمر بعد .. مستر (جوناثان) لا يهدّد .. إنه فقط يرسل إنذارًا لمرة واحدة ، وفى المرة

الثانية ، يضرب على الفور .. وفى قلب الهدف تمامًا .

صاحت (فاتن) فى ألم :

ـ اتركنى أيها الوغد .. أنت تؤلمنى .

وهتف الدكتور (فتحى) فى غضب :

ـ اتركها أيها المجرم .. ألا يمكنك إظهار قوتك ، إلا مع النساء ؟

انعقد حاجبا (مورجان) فى غضب ، وحمل (فاتن) فى يسر ، وكأنه يحمل طفلة صغيرة ، ثم ألقاها جانبًا فى عنف ، فارتطمت بأحد المقاعد ، وسقطت معه أرضًا ، وصاح الدكتور (فتحى) فى لوعة :

ـ (فاتن) .. وا ابنتى المسكينة !

ولكن (مورجان) انقضّ عليه بغتة ، وغرس أصابعه الغليظة فى ذراعيه ، وهو يرفعه إلى أعلى ، قائلًا :

ـ ماذا قلت يا رجل؟.. أنا لا أظهر قوتى إلا مع النساء ؟!

أجابه الدكتور (فتحى) فى ألم :

ـ كلّا .. إننى أعتذر .

ابتسم (مورجان) فى ظفر شرس ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

أجابه الدكتور (فتحى) فى حدة :

- بالطبع ؛ فلقد تبينت الآن أنك تستخدم قوتك مع كبار السن أيضًا .

عاد حاجبا (مورجان) ينعقدان فى غضب هادر ، وهو يتطلّع إلى عينى الدكتور (فتحى) ، فى حين اكتفى رجاله الأربعة بالابتسام فى سخرية ، وهبت (فاتن) واقفة ، وهى تقول فى حدة :

- اترك خالى ، أيها المجرم الحقير .

التفت إليها (مورجان) ، وقال :

- هل تريدينه ؟

وقبل أن تنبس ببنت شفة ، التفت يلقيه نحوها ، مستطردًا :

- خذيه إذن .

اصطدم الدكتور (فتحى) بها ، وسقطا معًا فى عنف ، فتأوّهت هى فى ألم ، وأطلق الدكتور (فتحى) صرخة مكتومة ، وتابع (مورجان) فى شراسة :

- هل تصوّرت أنك أكثر ذكاء منا ؛ لمجرّد أنك تحملين شهادة سخيفة ؟!.. هل خُيِّل إليك أن قصاصة الورق هذه ، ستجعلك أفضل من عباقرة العائلة ، وأننا لن نتوصّل إلى مكانك قط ؟

هتفت فى غضب ، وهى تعاون خالها على النهوض :

- أنت مجرّد وغد حقير .

جذبها أحد الرجال من شعرها بغتة ، وهو يقول :

- ألم تدركى الموقف بعد ؟

هتف به (مورجان) :

- من الواضح أنها من ذلك الطراز العنيد ، الذى يحتاج إلى علامة واضحة فى جسده ، يذكرنا بها مدى الحياة .

ثم انتزع من جيبه مدية حادة ، مستطردًا :

- ماذا تفضلين أيتها الجميلة ، قطع فى أنفك ، أم جرح فى خدك ؟

صاح الدكتور (فتحى) :

- ابتعد عنها .. لا تمسّها بسوء .

طوّح (مورجان) قبضته فى وجه الدكتور (فتحى) ، ولطمه لطمة قوية ، ألقت به أرضًا ، فى حين كبّل أحد رجاله ذراعى (فاتن) ، التى قاومت فى شدة ، وهى تصيح :

- النجدة .. ابتعد عنى .. النجدة .

قهقه (مورجان) ضاحكًا ، وقال :

- لن يسمعك أحد .. لقد أحسنت اختيار هذا المكان ، بحيث يكون بعيدًا عن الضجيج والمدينة .. سأقطع نصف أنفك ، أو أشوّه وجهك الجميل ، دون أن يشعر بك شخص واحد .

ابتسم رجاله فى سخرية ، وهى تصرخ مستنجدة فى ارتياع ، وتحاول التملص من قبضة أحدهم بكل قوتها ، فى حين قال آخر فى جذل :

- ما رأيك فى قطع إحدى أذنيها ؟

أجابه (مورجان) فى شراسة :

- كلا .. الأنف أفضل ، فالنساء يستطعن إخفاء الأذن المقطوعة ، بخصلة شعر مائلة .. أما الأنف ..

قالها ، وقهقه على نحو وحشى ، ثم انقض على (فاتن) ، وأمسك عنقها فى قسوة ، وهو يرفع مديته إلى أنفها ، مستطردًا :

- هيا .. قولى : وداعًا لأنفك الجميل .

جحظت عيناها فى رعب ، وصرخت فى ارتياع ، والمدية الحادة تقترب من أنفها ، و ...

« اتركها .. » .

دوت الكلمة داخل الردهة كقنبلة ، وبلغة إنجليزية سليمة ، على نحو جعل الجميع يلتفتون إلى مصدرها بسرعة ..

ثم اتسعت عيون الجميع ، وهم يحدقون فى صاحب الكلمة ..

الجميع بلا استثناء ..

فهناك .. عند مدخل القبو ، كان يقف (سيف) ، بزيه الفضى اللامع ، وخوذته الداكنة ، التى تخفى وجهه كله ..

وكانت هذه هى لحظة الميلاد ، فى زمننا هذا .

ميلاد (سيف) ..

سيف العدالة .

★ ★ ★



فهناك .. عند مدخل القبو ، كان يقف (سيف) ، بزيه الفضى اللامع ..

٨ ـ مولد بطـل ..

ران صمت رهيب لعدة ثوان ، على ردهة الفيلا ، والجميع يحدقون فى (سيف) ، ثم هتفت (فاتـن) بالعربية :

ـ رباه !.. لقد استيقظ .

أما خالها ، فقد احتبست صيحته فى حلقه ، وهو يتطلّع إلى (سيف) ، الذى ظلّ صامتًا ، ساكنا ، مشدود القامة ، فى حين ترك (مورجان) عنق (فاتن) ، وأشار لرجاله بأن يشهروا أسلحتهم ، وهو يلتفت إلى (سيف) ، قائلًا :

ـ ومن هذا بالضبط ؟.. بهلوان يقود دراجة بخارية .

كررّ (سيف) فى هدوء :

ـ اتركها ، وابتعد عن هذا المكان .

رفع (مورجان) مديته فى وحشية ، وهو يقول :

ـ وماذا لو رفضت طاعة أوامرك الجليلة يا ملك الحمقى ؟

أجابه (سيف) فى هدوء مثير :

ـ من الأفضل لك أن تفعل ، وإلا فسأضطر لتلقينك درسًا قاسيًا .

هتف (مورجان) فى غضب :
ـ هكذا ؟!.. خذها منى إذن أيها الحقير .. أنت تستحقها بجدارة .
ورفع مديته ، وألقاها بكل قوته نحو (سيف) .. فى موضع القلب مباشرة ..
وشهقت (فاتن) مرة ثانية فى ذهول ..
لقد ارتفعت يد (سيف) بسرعة مذهلة ، والتقطت المدية فى الهواء ، قبل أن تبلغ موضع قلبه بشبر واحد ، ثم رفعها فى هدوء ، و (مورجان) يهتف :
ـ مستحيل !.. كيف فعل هذا ؟
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى لوى (سيف) نصل المدية بأصابعه ، وألقاها تحت قدميه ، فاستطرد (مورجان) فى ثورة :
ـ لن تخيفنى بأفعالك البهلوانية هذه .
ثم اندفع نحو (سيف) كثور هائج ، وهوى بقبضته على خوذته ..
وبسرعة مدهشة ، تفادى (سيف) انقضاضته ، ومال جانبًا ، ولكمه فى معدته ، بقوة جعلت الثور البشرى يطلق خوارًا مخيفًا ، أعقبته شهقة ذاهلة ، عندما أمسكه (سيف)

من سترته ، ورفعه إلى أعلى بقبضة واحدة ، ثم ألقاه جانبًا فى عنف ..
وصرخ (مورجان) :
ـ اقتلوه .. اقتلوه يا رجال .
وهنا دفع الرجال (فاتن) بعيدًا ، وصوَّبوا مسدساتهم الآلية نحو (سيف) ، وأطلقوا النار ..
وصرخت (فاتن) فى رعب ، مع ذلك السيل من الرصاصات ، الذى عبر ردهة فيلتها ، ولكن صرختها لم تلبث أن اختنقت فى حلقها ، عندما شاهدت (سيف) يندفع نحو الرجال الأربعة ، والرصاصات ترتطم بحلته الفضية ، وترتدّ عنها ، وكأنها ترتطم بجدار من الصلب ..
واتسعت عيون الرجال الأربعة فى ذهول ، وتراجعوا على نحو أشبه بالعدو ، وهم يواصلون إطلاق نيرانهم ، وهب (مورجان) واقفًا ، وانطلق يعدو خلفهم ، صائحًا :
ـ مستحيل !.. إنه ليس بشريًا .. إنه شيطان مريد !
واندفع الخمسة يعدون خارج الفيلا ، نحو سيارتهم الفاخرة ، وقد توقَّفوا عن إطلاق النار ، بعد أن أدركوا عدم جدوى هذا ، ولكن (سيف) توقَّف عند مدخل الفيلا ، ورفع يده فى هدوء ، يشير إلى السيارة ، فانطلق من سبَّابته شعاع رفيع ، أصاب السيارة ، فانفجرت فى قوة رهيبة ،



ـ الملازم (سيف الدين) ، من القوة متعدِّدة الجنسيات ..

وكأنما أصابتها ألف قنبلة يدوية ، وصرخ (مورجان) :

ـ ألم أقل لكم ؟.. إنه شيطان .

لم يسمع رجاله الأربعة حرفًا واحدًا ، وهم يعدون بكل قوتهم ، مغادرين المكان كله على أقدامهم ، وتابعهم (سيف) لحظات فى صمت ، ثم استدار يواجه (فاتن) والدكتور (فتحى) داخل الفيلا .

ولثوان ، ساد المكان صمت رهيب ، صنع مع الدخان ، الذى أثارته مسدسات رجال (المافيا) ، مشهدًا مهيبًا ، قطعه الدكتور (فتحى) ، وهو يقول بصوت متهدج ، يغلب عليه الانفعال :

ـ إنها المعجزة .

سرت رجفة فى جسد (فاتن) ، عندما نطق خالها عبارته ، وظلّت تحدّق فى (سيف) ، وهى تكرّر ذاهلة :

ـ المعجزة ؟!

بدا لها صوت خالها أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ـ نعم .. المعجزة التى دعوت الله لتحقيقها ، وأنا أؤدى صلاة العشاء .. أن يرسل إلينا من يعاوننا على التصدّى لهؤلاء المجرمين .

بقى (سيف) صامتًا ، يتطلّع إليهما بدوره ، وخوذته تنقل إليه عشرات البيانات والمعلومات الحيوية عنهما .

حتى قالت (فاتن) فى اضطراب :

ـ هل .. هل أنت بشرى ؟

وهنا رفع (سيف) يديه فى هدوء إلى خوذته ، وأدار قاعدتها دورة ضئيلة للغاية ، ثم رفعها عن رأسه ، وهو يقول فى هدوء مهذب :

ـ الملازم (سيف الدين) ، من القوة متعددة الجنسيات .

وهنا أطلقت (فاتن) شهقة قوية ..

ولكن شهقتها كانت تختلف كثيرًا هذه المرة ، عن كل شهقاتها السابقة ..

كانت شهقة انبهار ..

فأمامها ، وداخل ذلك الزى الفضى ، كان يقف أكثر رجال الدنيا وسامة ..

أو هكذا بدا لها ..

شاب لا يتجاوز الثلاثين من العمر ، متناسق الملامح ، حليق الوجه ، له عينان وشعر فى لون الليل الحالك السواد ، وبشرة قمحية ، ووجه تشف كل خلجة فيه عن القوة والرجولة والشهامة ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، أطلق قلبها صرخة ..

صرخة تكاد تحتوى اسمه ووسامته ، لتحتفظ بهما بين جدرانه إلى الأبد ..

ولأن أنوثتها وخجلها يمنعانها ، من الإفصاح عما تشعر به ، تجمدَ لسانها فى حلقها ، وظلت تحدق فى وجه (سيف) ، فى حين هتف خالها :

ـ القوة متعددة الجنسيات ؟!.. هل تقصد تلك التى تحمل شعار الأمم المتحدة(★) ، وتتحرك بأوامرها ؟!

أجابه (سيف) ، بلهجته الهادئة المهذبة ، وبلغة عربية فصحى :

ـ فى المكان الذى أتيت منه ، لا يوجد ما يعرف باسم (الأمم المتحدة) .. أو بمعنى أدق ، لم يعد هناك كيان كهذا .

وهنا انحلت عقدة لسان (فاتن) ، فهتفت :

ـ المكان الذى أتيت منه ؟!.. ألست أرضيًا مثلنا ؟

أدار عينيه إليها ، وهو يجيب فى هدوء :

(★) الأمم المتحدة : منظمة دولية ، أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية ، لتحل محل عصبة الأمم ، ومقرها الدائم (نيويورك) ، منذ عام ١٩٥٢ م ، وضع (الاتحاد السوفيتى) و (الصين) و (انجلترا) و (أمريكا) مقترحات ميثاقها ، فى مؤتمر (دومبارتن أوكس) ، فى سبتمبر ـ أكتوبر عام ١٩٤٤ م ، وهى تتكون من عدة أجهزة رئيسية ، أهمها : مجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية ، ومن أهم أهدافها : المحافظة على السلام والأمن الدوليين .

ـ بل أنا أرضى ، وبشرى ، وأحمل جنسية عربية ، ولقد وُلدت فى (مصر) .

هتفا فى آن واحد :

ـ فى (مصر) ؟!.. أأنت مصرى مثلنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى هدوء ، فقال الدكتور (فتحى) فى حيرة :

ـ ولكن كيف ؟!.. إنك تتحدَّث بالعربية الفصحى ، ونحن لا نفعل هذا فى (مصر) .

قال فى هدوء :

ـ ستفعلون بإذن الله ، بعد ما يقرب من ربع القرن ، عندما ينشأ الاتحاد العربى ، وتذوب اللهجات العربية كلها فى اللغة الأم .. لغة القرآن .

ردَّدت (فاتن) فى دهشة بالغة :

ـ ربع القرن ؟!.. ما الذى توحى به إلينا بالضبط ؟.. هل تريد أن تقول : إنك .. إنك من الـ ... من الـ ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، من فرط دهشتها ، فأكملها الدكتور (فتحى) على هيئة هتاف حاد ، حمل كل توتره وانفعالاته :

ـ من المستقبل ؟!!

رفع (سيف) رأسه ، وقال :

ـ سيدهشكم هذا كما أدهشنى ، ولكنها الحقيقة ، على الرغم من كل ما تحمله من غرابة وعدم منطقية .. نعم أنا من المستقبل .. مستقبلكم .

وعاد الصمت يخيم على المكان كله ، وهو يحمل سمة جديدة هذه المرة ..

الذهول ..

★ ★ ★

كانت المفاجأة مذهلة بالنسبة لـ (سيف) ، عندما استعاد وعيه بغتة ..

لقد وجد نفسه راقدًا فوق منضدة بدائية للغاية ، لم يشاهد مثلها سوى فى المتاحف الهولوجرافية المجسمة ، وحوله أجهزة تشبه تلك التى درسها ، فى كتب التاريخ القديم .

وللوهلة الأولى ، لم يستوعب شيئًا من الموقف ، حتى انبعث صوت من خوذته ، يقول فى هدوء :

ـ حمدًا لله على استيقاظك أيها الملازم ، هل ترغب فى مراجعة كل ما حدث ، فى أثناء فترة فقدانك الوعى .

كان هذا صوت المنظم الآلى ، المثبت داخل الخوذة ، فغمغم (سيف) :

ـ نعم .. أرغب فى هذا .

وعلى الفور ، أضيئت شاشة صغيرة أمامه ، واتخذت أبعادًا ثلاثية ، بحيث بدا وكأنه يشاهد صورة حية لما حدث ، منذ فقد الوعى ..

فى البداية ، كان هناك فيض هائل من الطاقة يحيط به ..

ثم تلاشى الوهج تدريجيًا ، وظهرت سماء صافية ، تزخر بالنجوم ، قبل أن يتحرَّك المشهد فى سرعة ، ويرتفع صوت ارتطام جسده بالماء ، وتنقل الشاشة مشهد الغوص فى أعماق حوض السباحة ..

ثم شاهد (فاتن) تغوص ، وتسرع نحوه لإنقاذه ..

ودون أن يبدى أدنى حركة ، راح (سيف) يتابع فى مشاهد سريعة ، كل ما حدث منذ وصوله إلى هذا الزمن ..

وبدا له الموقف عجيبًا ..

بل أعجب وأغرب من كل ما رآه وقرأه ، حتى فى نظريات الفلسفة الفيزيائية ، وعلوم ما وراء الطبيعة ..

ثم راوده الشك فى أن يكون كل هذا مجرَّد خدعة ، وقال للمنظم الآلى :

- كل شىء يوحى بأننى عبرت حاجز الزمن ، بوسيلة ما ، وعدت إلى الماضى .. إلى نهايات القرن العشرين على الأرجح ، ولكن ألا يحتمل أن تكون خدعة كبيرة ؟

أجابه المنظم :

- هل ترغب فى دراسة هذا الاحتمال ؟

قال (سيف) فى حسم :

- بالطبع .

وهنا برز من الخوذة سلكان فى غاية الدقة ، راح أحدهما يدور فى بطء ، فى حين أطلق الثانى عشرات من خيوط إشعاعية دقيقة ، على هيئة قمع كبير ، راحت تحيط بكل شىء ..

الأجهزة ..

والجدران ..

والصور ..

والأرضيات ..

كل شىء ..

وبعد نصف دقيقة فحسب ، قال المنظم الآلى :

- الهواء يحمل نسبة عالية من التلوث ، وذرات كربون لم يتم تسجيل نسبتها ، فى أى مكان فى العالم ، والأجهزة كلها حديثة الصنع ، ولكنها تعود إلى الفترة ما بين عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين ، وعام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين ، والجدران مصنوعة من خامات قديمة ، بطل استخدامها منذ ربع قرن على الأقل ، مثل الطوب والأسمنت والحجارة ، ولا توجد ذرات تكييف مركزية فى

الأرضية ، أو داخل مادة الجدران .

سأله (سيف) :

ـ وماذا عن التحليل الصوتى ؟

أجابه المنظم الآلى :

ـ لم نلتقط أية إشارات ، على الموجات (ألفا ـ ١) ، و (ألفا ـ ٢) ، و (بيتا ـ ٣٠١) .

غمغم (سيف) :

ـ من المستحيل أن يخلو الهواء من إحدى هذه الموجات الثلاث .. إنها موجات البث الهولوجرافى الدولى ، وعالم الأخبار المجسم ، والشرطة .. تُرى هل يعنى هذا أن ..

لم يتمّ تساؤله ، والحيرة تملأ كيانه أكثر وأكثر ..

وعلى الرغم من غرابة الموقف واستحالته ، إلا أنه لم يكن هناك تفسير سواه ..

لقد انتقل عبر الزمن ..

قفز أكثر من نصف قرن إلى الماضى ..

إلى نهايات القرن العشرين ..

وفى هدوء ، نهض (سيف) ، وأدار عينيه فيما حوله ، ثم هبط عن المنضدة ، ووقف فى منتصف الحجرة تمامًا ، محاولًا استيعاب وهضم وضعه الجديد ..

وفجأة ، نقل إليه اللاقط الصوتى الفائق ، فى خوذته الخاصة أصواتًا تتحدَّث فى غضب وعنف ..

وفى سهولة ، ومع التدريبات الفائقة ، التى تلقاها كرجل أمن ، فى منتصف القرن الحادى والعشرين ، ميَّز صوتى الرجل والمرأة ، اللذين أنقذاه ..

وأدرك أنهما يواجهان مشكلة ..

وبدون تردد ، اندفع (سيف) لتنفيذ واجبه ..

لم ينس أنه رجل أمن ..

ولم يبك لفقدانه زمنه ، ورفاقه ، وعالمه ..

وصعد (سيف) إلى الطابق الأرضى ..

وواجه (مورجان) ورجاله ..

وكان ما كان ..

★ ★ ★

استعاد ذهن (سيف) كل هذه الأحداث فى لحظة واحدة ، ولكنه لم يفصح عن حرف واحد منها ، وهو يتطلّع فى صمت إلى الدكتور (فتحى) ، والدكتورة (فاتن) ، حتى قطع الأوَّل حبل الصمت ، قائلًا :

ـ مازلت أومن بأنها معجزة .

أدار (سيف) عينيه إليه فى بطء ، فأضاف بصوته المتهدِّج :

ـ أيًا كان المكان ، الذى جئت منه يا ولدى ، وأيًا كانت الوسيلة ، التى أتت بك إلى هنا ، فقد وصلت فى المكان والزمان المناسبين ، وهذا لا يعنى سوى أن الله سبحانه وتعالى قد استجاب لدعائى ، وصنع معجزته ، ليرسل إلىَّ من يتصدى لهؤلاء الأوغاد .

أجابه (سيف) :

ـ وأنا أومن بما تقول يا سيدى ، فمادامت إرادة الخالق (سبحانه وتعالى) قد شاءت لى أن أفقد زمنى ، وأعود إلى هذا الزمن ، دون رغبة منى أو إرادة ، وبمصادفة لا يتقنها سواه (سبحانه) ، فهذا يعنى أنه هناك حكمة كبيرة لوجودى هنا .. حكمة لا يعلمها ، حتى هذه اللحظة ، سوى الله (عز وجل) .

هتفت (فاتن) فى حماس :

ـ رائع .

استدار إليها (سيف) فى صمت ، فتضرَّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـ أعنى أنه من الرائع أن تكون مؤمنًا أيضًا .

قال فى شىء من الحيرة :

ـ هذا طبيعى .. أنا رجل أمن .

سأله (فتحى) بسرعة :

ـ وما الطبيعى فى هذا ؟

أجابه (سيف) :

ـ فى زمنى يتم إعداد رجال الأمن لفترة طويلة للغاية ، وبرنامج إعدادهم وتدريبهم يشمل تلقينهم تعاليم الدين بمنتهى الدقة ، بحيث يعرف كل منهم حقوق وواجبات كل فرد فى المجتمع .. هكذا فقط تتحقق العدالة .

هتف الدكتور (فتحى) :

ـ العدالة !.. نعم .. هذا هو اللقب ، الذى يناسبك تمامًا .

استقرت عينا (سيف) عليه لحظات ، قبل أن يسأله :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه فى حماس :

ـ اسمك (سيف) ، وأنت تسعى لتحقيق العدالة .. ألا تدرك التوفيق العجيب ؟.. إنك تستطيع أن تحمل ، وبكل ثقة ، اسم (سيف العدالة) .

سأله (سيف) فى حيرة :

ـ ولماذا أحمل اسمًا يخالف اسمى الحقيقى ؟

لوَّح الدكتور (فتحى) بذراعيه ، وهو يقول متحمسًا :

ـ إنه ليس اسمًا .. إنه لقب .. لقب تستحقه عن جدارة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحظ أن (سيف) يترنح فى مكانه ، فسأله فى قلق :

ـ ماذا هناك يابنى ؟

أجابه (سيف) ، بنفس لهجته المهذبة ، وإن بدت ضعيفة بطيئة :

ـ أعتقد أننى استنفدت الكثير من طاقتى ، أو ...

وقبل أن يتم عبارته ، سقط فجأة أرضًا ، و ...

وفقد وعيه مرة ثانية .

★ ★ ★

٩ ـ المفاجأة ..

« إنه شيطان .. لا يوجد تفسير سوى هذا .. » .

نطق (مورجان) هذه العبارة فى عصبية شديدة ، واحتقن وجهه وعيناه على نحو عجيب ، حتى تصور (جوناثان) أن الدماء ستتفجر من أنفه وعينيه ، وهو يستطرد فى حدة :

ـ لقد حملنى .. هل تتصور هذا ؟.. حملنى أنا فى بساطة ، وكأنه يحمل دمية صغيرة ، وألقانى جانبًا بكل استهتار ولا مبالاة .. بل لقد التقط مديتى بأصابعه ، قبل أن تنغرس فى قلبه ، ولواها فى يسر ، ثم ألقاها أرضًا .. وليس هذا فحسب ، لقد أطلق الرجال نيرانهم عليه ، من مسافة تقل عن أربعة أمتار ، ولكنه لم يصب بخدش واحد ، وطاردنا كالشياطين ، وعندما أردنا الانطلاق بالسيارة ، أطلق نحوها أشعة عجيبة ، جعلتها تنفجر كألف قنبلة .

انعقد حاجبا (جوناثان) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لهذا جريتم كالجبناء ، وتركتم الرجل والفتاة فى الفيلا .. أليس كذلك ؟

لوَّح (مورجان) بذراعيه فى عصبية، وهو يقول :

ـ ذلك الشيطان كان كفيلًا بقتلنا، لو لم نهرب بهذه السرعة .

صرخ (جوناثان) فى وجهه :

ـ جبناء .

تراجع (مورجان) بحركة حادة، فتابع (جوناثان) غاضبًا :

ـ جبناء وأغبياء أيضًا .

قال (مورجان) فى حدة :

ـ إنك لم تر ما رأيناه .

صاح به (جوناثان) :

ـ وما الذى رأيتموه ؟.. مهرج فى حلة برَّاقة، يرتدى درعًا مضادًا للرصاص، وبعض التركيبات الحديثة .. تلك الفيزيائية السخيفة نجحت فى خداعكم .. هل نسيت أنها تعمل لحساب وكالة (ناسا) لأبحاث الفضاء ؟!.. أراهنك أن ذلك الرجل لم يكن سوى أحد معاونيها، والزى الذى يرتديه أحد ابتكارات (الناسا) .. ولكنه يكفى لإخافة أوغاد مثلكم، ما داموا يعجزون عن قراءة مجلة أطفال مصوَّرة .

غمغم (مورجان) معترضًا :

ـ أنا أقرأ الكثير من المجلات المصوَّرة .

صاح به (جوناثان) :

ـ ولكنك لا تختار الأنواع الراقية منها، وإلا لأمكنك فهم الخدعة، التى أخافتكم، وجعلتكم تفرون كالفئران .

عقد (مورجان) حاجبيه، وقال فى غضب :

ـ إذن فهى خدعة .. اللعنة .. سأحطم المكان كله فوق رءوسهم .

قال (جوناثان) فى حدة :

ـ كان المفروض أن تفعل هذا .

هتف (مورجان) :

ـ ولكنك قلت، إننا سنخيفهم فحسب .

لوَّح (جوناثان) بكفه، وقال :

ـ لم أعد أتبنى هذه الفكرة، فمن الواضح أنهم ليسوا مجرَّد هواة، بل هناك من يحرِّكهم فى حنكة، ويمنحهم كل الإمكانيات اللازمة .

مال (مورجان) نحوه، وهمس فى توتر :

ـ أتعتقد أنهم يتلقون مساعدات حكومية .

التفت إليه (جوناثان)، وقال مستنكرًا :

ـ حكومية ؟!

أسرع (مورجان) يقول :

- نعم .. مساعدات حكومية رسمية ، وإلا فكيف حصلوا على الزى الخاص بوكالة (ناسا) ؟!

مطّ (جوناثان) شفتيه ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يدرس الاحتمال ، بعد أن نجح سؤال (مورجان) فى إثارة مخاوفه ، ثم لم يلبث أن قال :

- يمكننا التأكد من هذا .

واستدار يضغط أزرار هاتفه الخاص ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، عبر مكبّر الصوت الخارجى ، حتى قال :

- مساء الخير يا (فيليب) .

أتاه صوت (فيليب) هذا ، يقول فى حنق :

- بل قل صباح الخير ، فهى الواحدة والنصف صباحًا الآن .. من أنت ، حتى تتحدّث إلىّ فى هذه الساعة ، وتوقظنى من حلم جميل ، و ...

قاطعه (جوناثان) فى صرامة :

- أنا (جوناثان) .. (كارل جوناثان) .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يصل صوت (فيليب) مرتبكًا متوترًا ، وهو يقول :

- معذرة يا مستر (جوناثان) .. لم أتوقّع قط أنه أنت ، أرجو أن تتقبل اعتذارى ، و ...

قاطعه (جوناثان) مرة أخرى :

- دعك من هذا ، وافرك وجهك جيدًا ؛ لتطرد عنه كل أثر للنوم ، وتستعيد صفاء ذهنك ، قبل أن تجيب عن أسئلتى هذه .. قل لى : هل تعرف العالمة الفيزيائية المصرية (فاتن) ؟

أجابه الرجل بسرعة :

- بالطبع .. هل ترغب فى الحصول على أية معلومات بشأنها ؟

سأله (جوناثان) :

- كلّا .. كل ما أريد معرفته هو : هل طلبت أى نوع من المساعدات ، من وكالة (ناسا) اليوم ؟.. المساعدات الأمنية بالطبع .

قال الرجل فى دهشة :

- المساعدات ؟!.. يبدو أنك خلطت بيننا وبين المخابرات المركزية يا مستر (جوناثان) .. إننا وكالة لأبحاث الفضاء ، وبسنا وكالة تحريات خاصة

سأل (جوناثان) فى حزم :

- كيف حصلت إذن على الزى التجريبى ؟

قال (فيليب) فى حيرة :

- أى زى تجريبى ؟

أجابه (جوناثان) ، وهو يصبغ صوته بلهجة العالم ببواطن الأمور ، والشديد الثقة بكل ما لديه من معلومات :

- الزى الفضى المقاوم للـرصاص، ذو الخـوذة المستديرة الداكنة .

مضت لحظة من الصمت، وكأن (فيليب) يحاول استيعاب الحديث، قبل أن يقول بدهشة بالغة :

- من أين استقيت معلوماتك يا مستر (جوناثان) ؟!.. إننا لم نجر أية أبحاث، بخصوص مثل هذا الزى، أو حتى أية أزياء أخرى .. إنهم مقتنعون تمامًا بالزى الفضائى الحالى، ولا يوجد تفكير فى ..

قاطعه (جوناثان) :

- حسن يا (فيليب) .. حسن .. عد إلى فراشك، قبل أن يجبرنى الملل، الذى ينبعث من حديثك، على الذهاب لفراشى أيضًا .

وأنهى الاتصال فى حدة، فقال (مورجان) :

- هل سمعت ؟.. إنه شيطان .

أشار إليه (جوناثان)، وقال :

- لا توجد شياطين إلا فى عقلك الغبى .. لو أن الزى ليس أحد أبحاث (ناسا)، فهو من نتاج أبحاث فردية لتلك الفيزيائية المصرية .

تنهَّد (مورجان) مستسلمًا، وهو يقول :

- فليكن .. بِمَ تأمرنا إذن ؟

صمت (جوناثان) لحظات، ثم أشعل سيجارته، واتجه إلى الشرفة، ووقف يتطلَّع إلى (واشنطن) النائمة لحظات أخرى، قبل أن يقول :

- أوامر (دون رينالدى) كانت صريحة فى هذا الشأن .. إما أن نحصل على العقار، أو لا يحصل عليه سوانا .. ولقد أحرقنا معمل الدكتور (فتحى)، فى مركز البحوث فى (القاهرة)، وقتلنا مساعده الوحيد، وفتشنا منزله هناك شبرًا شبرًا، وقادنا كل هذا إلى أن الدكتور (فتحى) يحتفظ بتركيبة عقاره الجديد (م.ف)، فى أسطوانة كمبيوتر خاصة، وما دمنا لا نستطيع الحصول على التركيبة، فمن الضرورى والمنطقى أن ننتقل إلى الجزء التالى من الخطة .

سأله (مورجان) فى لهفة :

- هل تعنى أن ..

قاطعه فى حزم :

- نعم يا (مورجان) .. خذ معك عشرين رجلًا آخرين، فى خمس سيارات، بخلاف سيارتك أنت ورجالك، واحملوا معكم كل ما يمكنكم حمله من أسلحة .. مسدسات ومدافع آلية، قنابل يدوية، صواريخ محمولة .. خذوا كل ما تريدون من مخازننا، وهاجموا تلك الفيلا بكل قوتكم، ولن ألزمكم بخطة هجوم، أو وسيلة انسحاب، أو زمن محدود .. لن أطالبكم سوى بأمر واحد .

واكتسى صوته بوحشية عجيبة ، وهو يستطرد :
ـ أن تستمروا فى التدمير ، حتى لا تبقى حشرة واحدة على قيد الحياة ، ولا حجر واحد صالح للاستعمال ، فى الفيلا كلها .. هل تفهمنى أيها الخرتيت البشرى ؟. أريدها حملة إبادة .
وبرقت عيناه على نحو مخيف ، مع إضافته :
ـ إبادة شاملة .
ونفث دخان سيجارته كاللهب ..
★ ★ ★
هزّ الدكتور (فتحى) رأسه فى أسى ، وهو يقول :
ـ إنه فاقد الوعى تمامًا .
ألقت (فاتن) نظرة أخرى على جسد (سيف) ، ووجهه البالغ الوسامة ، قبل أن تهمس :
ـ المهم أنه على قيد الحياة .
صدمتها عبارة الدكتور (فتحى) ، وهو يقول :
ـ لا يمكننى الجزم بهذا .
وسألته فى لهفة ، وقلبها يخفق فى شدة :
ـ كيف ؟.. ألا يمكنك قياس النبض ، من وريده العنقى ؟
هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لقد حاولت ، ولكن عنق الزى صلب ، ومحكم حول عنقه تمامًا ، حتى أننى أتساءل : كيف يرتدى خوذته ؟
غمغمت (فاتن) ، وهى تلتفت إلى الخوذة :
ـ ربّما يمكنها التكيف معه .
ومالت نحو الخوذة ، والتقطتها فى خفة ، وهى تقول :
ـ لقد حاولنا نزعها عن رأسه ، بكل الطرق الممكنة ، ولكننا عجزنا عن هذا ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد رفعها هو عن رأسه فى بساطة مدهشة .
شاركها الدكتور (فتحى) التطلّع إلى الخوذة ، وهو يقول :
ـ كم هى عجيبة هذه الخوذة !!.. إنها خفيفة للغاية ، على الرغم من صلابتها الشديدة .. لقد رأيت بنفسى رصاصة ترتطم بها ، ثم ترتد عنها كما لو كانت لوحًا من الفولاذ .. ثم إنها داكنة للغاية ، حتى أننى أتساءل : كيف يمكنه الرؤية عبرها ؟
رفعت (فاتن) الخوذة إلى رأسها ، وهى تقول :
ـ لِمَ لا نختبر هذا ؟
ووضعت الخوذة على رأسها ..
ولم تكد تفعل ، حتى رأت أمامها سيلًا من المعلومات ، يتدفّق فى كل ركن من الخوذة ، على نحو متلاحق



ومالت نحو الخوذة ، والتقطتها فى خفة ، وهى تقول :

ـ لقد حاولنا نزعها عن رأسه ..

ومتداخل ، بحيث عجزت حتى عن تتبعه وفهمه ، فى حين أصطبغ كل شىء أمامها بلون أزرق هادئ ، ملأ نفسها ارتياحًا ، وهى تدير عينيها فى المكان ، وخالها يسألها :

ـ ماذا ترين ؟

أجابته فى انبهار :

ـ الكثير جدًّا .. من الواضح أن هذه الخوذة تمتلك مقدرة فذة ، على تحليل كل ما يواجهها ، وهى تعلن نتائج التحاليل فى سرعة كبيرة ، تعجز معها عقولنا عن التقاطها ، ولكن من المؤكَّد أن أهل المستقبل قد اعتادوا السرعات الفائقة ، وتدرَّبت عقولهم على التعامل معها .

سألها فى اهتمام :

ـ أهذا ممكن ؟

أجابته لاهثة ، من شدة انبهارها وانفعالها :

ـ بالطبع .. فالسرعة التى انطلقت بها السيارات الأولى ، تقل عن ربع السرعة التى تنطلق بها السيارات الحالية ، وعن واحد على عشرين من السرعة ، التى تنطلق بها أبطأ مقاتلة حربية ، وعلى الرغم من هذا ، فالعقل البشرى يتكيف على زيادة السرعة باستمرار (★) ، ويمكنه أن ..

(★) حقيقة علمية .

قاطعها فجأة رنين مكتوم، تردَّد داخل الخوذة، التى تحوَّل لونها الأزرق الهادئ بغتة إلى لون أحمر مخيف، مع صوت يقول :

- محظور على المدنيين ارتداء خوذات (ق.م.ج-٢٠٤٩) .. أكرِّر .

أسرعت تنتزع الخوذة عن رأسها، قبل أن تتكرَّر العبارة، وهتفت :

- عجبًا !.. هذه الخوذة تقرأ أفكار لابسها، على نحو ما .

غمغم خالها :

- المستقبل سيحمل إلينا حتمًا الكثير من العجائب .. إنه نصف قرن من زمننا الحالى، ولا تنسَ أننا، من ربع قرن مضى، لم نكن نستطيع أبدًا أن نتخيَّل ما نحن عليه الآن من تكنولوجيا .. أجهزة الفيديو، و (الفاكسميلى)، والكمبيوتر الدقيق، والدوائر المطبوعة، وغيرها .. فماذا بعد نصف قرن آخر من التقدم، بهذه العجلة السريعة ؟!

تنهَّدت قائلة :

- أنت على حق يا خالى العزيز .. من الطبيعى أن يحمل إلينا (سيف) الكثير من العجائب .. انظر إلى زيه هذا مثلًا .. إنه يبدو ناعمًا رقيقًا، وعلى الرغم من هذا، فقد تصدى للرصاصات كما لو أنه ...

بترت عبارتها بغتة، وهتفت :

- عجبًا !.. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟

اقترب منها خالها، قائلًا :

- وما هذا بالضبط ؟

أمسكت قطعة من الزى، عند الساعد الأيسر لـ (سيف)، وهى تقول :

- هناك جزء ممزَّق من الزى .. يبدو أنه ليس منيعًا للغاية، كما ينبغى أن يكون .. انظر .. لقد اخترقته رصاصة وعبرته إلى ساعة (سيف)، و ..

بترت عبارتها مرة أخرى، وتراجعت كالمصعوقة، وهى تهتف :

- ربَّاه .. مستحيل !

قفز الدكتور (فتحى) إليها، وهو يهتف :

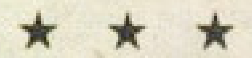
- ماذا هناك هذه المرة ؟

أشارت إلى سلكين رفيعين، يبرزان من الجزء الممزَّق، واختنق صوتها، وهى تقول :

- هـ ... هذان السلكان لا يخرجان من الزى، كما تصوَّرت فى البداية .

سألها خالها بسرعة :

ـ من أين يأتيان إذن ؟
شحب صوتها ووجهها بشدة ، وهى تجيب :
ـ من ساعده .. إنه ليس بشريًا .. إنه آلى .. مجرَّد رجل آلى !
وكانت مفاجأة للدكتور (فتحى) ..
مفاجأة مذهلة ..



انتهى الجزء الأوَّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

[الفارس الآلى]



سيف العدالة

مقاتل مستقبلى من طراز خاص يتصدى للشر





د. نبيل فاروق

رجل المستقبل

- ترى هل يمكن أن تكون هناك علاقة منطقية مباشرة ، بين الحاضر والمستقبل ؟
- ما سر هؤلاء الرجال ، الذين يطاردون عالمًا مصريًا فى (أمريكا) ؟
- من هو (سيف الدين) ، وما السر الذى حمله معه ، من عالم المستقبل ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بقلبك وخيالك مع (سيف العدالة) .

الثمن فى مصر
١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر

القصة القادمة
(الفارس الآلى)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع